9me Année No. 437

Lundi - 17 - 11 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٣٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شوال سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٣٨٩ أدب اليوميات ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٣٩٢ أومن بالإنسان ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف
١٣٩٦ المنزل . والريف . ونفسى : الأستاذ راشد رستم ...
١٣٩٨ ديوان البارودى ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٠١ البحر ... ... : الدكتور حسن عثمان ... ...
١٤٠٣ مواسم الأدب ... ... : الأستاذ كرم ملحم كرم ...
١٤٠٥ جبل تخلة للدور ... ... : الأستاذ كوركيس عواد ...
١٤٠٨ تيموستوكل ... ... : الأستاذ محمد الشحات أيوب
١٤١٠ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... : المستشرق إدور وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٤١٣ الطير المهاجر [قصيدة] : الأستاذ عباس محمود العقاد
أريد ... » : الأديب أحمد عبد المجيد الغزالى
١٤١٥ إقتراح مرفوع إلى جماعة كبار العلماء ... ... : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
١٤١٦ مؤتمر الأديان فى لندن ... .
وفاة موريس ليبلان ... : ... ...

أدب اليوميـــات

للأستاذ عباس محمود العقاد

(١) ... هل تكتبون مذكرات يومية ، أو هل فى نيتكم كتابة مذكرات أو تدوين ترجمة لحياتكم الحافلة كما يفعل كتاب الغرب ؟ وهل لا توافقوننى على أن كتاباً كهذا تصفون فيه ما صادفكم من عقبات وما تغلبتم عليه من الصعوبات ، وتقصون فيه ما لا يعرفه الكثيرون عن حياتكم الشخصية والأدبية والسياسية يكون درساً مفيداً لشبان هذا الجيل والأجيال المقبلة ؟

(٢) هل معنى عدم إقدامكم على الزواج إلى الآن أن الحياة الزوجية تقيد رجل الفكر أو تشغله عن أداء رسالته ، أم أنكم لم تهتدوا إلى المرأة التى ترونها المثل الأعلى لزوجة المفكر ؟

(٣) لكل إنسان أمانى وآمال ومطالب ، ومطالب من عاش لا تنتهى ... وهى تختلف باختلاف الأحوال والأيام ؛ ولكن ترى ما هى أعظم أمنية تتوقون إليها فى الحياة ؟

(الأسكندرية) أحمد عبد اللطيف الحضراوى
بالمعهد البريطانى

* * *

هذه فقرات من رسالة وصلت إلىّ من الأديب صاحب الإمضاء المتقدم ، وفى الجواب عن بعض أسئلته ما يصح أن

يشترك فيه حضرات القراء ، لأنه من موضوعات الكتابة العامة التي تطرق في الكتب والمجلات

وأول هذه الأسئلة سؤاله عن المذكرات اليومية وما أدونه منها الآن أو بعد حين

وجوابي عن هذا السؤال أنني بدأت حياتي الأدبية — منذ الدراسة الأولى — بكتابة المذكرات والتعليقات على ما أطالع وأشاهد في كل يوم ، وإنني لم أنقطع عن كتابة هذه المذكرات إلا في السنوات الأخيرة التي لا تتجاوز خمس سنوات

فأول كتاب صدر لي هو « خلاصة اليومية » واسمه يدل عليه . فقد كان تلخيصاً لما أثبته في مذكراتي اليومية من الآراء والملاحظات والأصول التي أتناولها بالتوسع إذا خصصتها بالكتابة

ثم ألفت كتابي « ساعات بين الكتب » وهو غير الكتاب الذي طبع بعد ذلك بهذا العنوان . فإنما كان الكتاب الأول تعليقات على القراءات التي تفرغتُ لها وأنا مقيم في أيام الحرب الماضية بأسوان ، ولم يكن مجموعة مقالات أو فصول نشرت في الصحف كالكتاب الذي يحمل الآن هذا العنوان

لكن المذكرات اليومية نوعان وليست بنوع واحد ؛ فهذا الذي ذكرته مقصور على شئون الفكر والقراءة كأنه فصول صغيرة أو موضوع متفرق في عدة صفحات ، وهو النوع الذي أكثرت من الكتابة فيه ، وعندي منه الآن مجموعة صالحة في انتظار الطبع كما هي ، أو في انتظار التوحيد والتأليف ، لأنها تصلح لهذا وذاك

أما النوع الآخر وهو المذكرات عن حوادث الحياة وعوارضها فلم أشرع في الكتابة فيه إلا مرة واحدة طالت بضعة شهور ؛ ثم مزقت ما كتبت وأحرقته ولم أعد إلى تجربة الكتابة في هذا النوع مرة أخرى ، ولعلي لا أعود

ولكني لا أحكم على أدب اليوميات كله بالتمزيق والإحراق من أجل أنني اضطررت إلى تمزيق ما كتبت وإحراقه ؛ لأن أسبابي غير أسباب الآخرين ، وموانعي غير موانعهم ، والمحظورات التي أتقيها غير المحظورات التي يتقونها

فالواقع أنني من أرغب الناس في قراءة اليوميات والانتفاع بها ، وهي في اعتقادي أنفع القراءات للمؤرخ والمستطلع لأحوال الأمم وسرائر النفوس ، ولا سيما المكتوب منها بخلوص نية لا يشوبها التكلف والرياء ، ومعظم كتاب اليوميات ممن يتوخون خلوص النية وصدق الرواية عندما يخلون إلى صفحاتهم الخفية ، لأن المسألة عندهم « ظاهرة نفسية » أشبه بالتوجه إلى محراب الاعتراف ، وكأنهم يخففون أعباء ضمائرهم بإلقائها عنهم في صفحات مسجلة يرجعون إليها ويؤمنون بصدقها وأمانتها ، — كما يخفف الإنسان أعباء ضميره بالإفضاء إلى صديق أمين ؛ فهم مسوقون إلى صدق الكتابة بهذا الشعور العجيب الذي لا يسترسل إلى غير الأمانة ، وفي هذه الراحة ضمان للقارئ أو ضمان للحقيقة أقوى من ضمان المحاسبة والبينات

واليوميات أدب مستفيض في اللغات الأوربية عامة وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية ، وهذا الأدب موضع دراسة المؤرخ والناقد النفساني ، والفيلسوف ، والباحث العلمي ، وكل من تعنيه سير الجماعات والأفراد ؛ يشتركون في دراسته وبحثه تارة لبيان الأسباب التي تدعو الناس في فترة خاصة من الزمن إلى تدوين مذكراتهم والعكوف على أسرار ضمائرهم بمعزل عن الجماهير وشواغلهم العلنية ، وتارة لتحقيق الوقائع واستكشاف دخائل الرجال ، وتارة أخرى للمقابلة بين أحوال الجو في البقعة الواحدة بين زمان وزمان ، ويأتون في جميع هذه التعليلات والتخريجات بما يلذ الوقوف عليه ويفيد !

وما من كاتب يوميات في الحقيقة إلا وهو ظاهرة نفسية كثيرة البدوات والغرائب ، كثيرة الجوانب التي تتعلق بها مباحث النفسانيين والحكماء . وقد أشرت إلى طرف من ذلك في مقدمتي الجزء الثالث من مذكرات أحمد شفيق باشا رحمه الله حيث قلت عن يوميات صمويل بيبز Samusl Bepys أنها موضع الحيرة عند بعض النقاد ، « فلا هم قادرون على أن يجزموا بأنه كتبها لنفسه ، لأن الإنسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا هم قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة ، لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة أقربائه ، كان معروفاً أنه يخفيها أشد الإخفاء ويود لو يتعقبها بالمحو والنسيان »

ثم ضربت لذلك أمثلة شتى منها أن مسألة من المسائل البيتية

كثرتها فأتلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكراته فدون فيها جميع تلك الأوراق والأسانيد بأقصى ما استطاع من إسهاب وتفصيل !

هذا هو العجب، وهذا هو موضع التأمل والدراسة ، وهذا الذي يجعل اليوميات مرجعاً صادقاً لدارس الحوادث ودارس الأخلاق .

فأنا لا أدين أدب اليوميات كله لأنني أحرقت يومياتي ولم يخطر لي أن أعيد التجربة مرة أخرى

وإنما يباعد بيني وبين كتابة اليوميات أمران كلاهما حقيق بالإثبات لأنهما أيضاً من ظواهر النفسيات وظواهر الفترة التي عشت فيها

وأول الأمرين أنني غير مطبوع على التوجه إلى محراب الاعتراف ، لأنه ضرب من الاستنفار لا أستريح إليه ، أو لأنني أدخر لنفسي خفاياها وأنزهها عن البوح بها لأحد غير مستثنٍ من ذلك إلا القليل

فالمسألة التي تلعج خاطري وتثير شعوري وتتسرب إلى أعماق ضميري ليس مصرفها عندي أن أسجلها كما هي أو أفضي بها إلى أذن سامع قريب ، وإنما مصرفها أن أعبر عنها في الشعر والكتابة ، وأن أعرضها للتحليل والتقليب على وجوه شتى . فإذا حللتها واستخرجت معناها فقد استرحت منها وفتحت مغالقها ولم يبق فيها عندي موضع للمعالجة والاستقصاء

ورب كارثة نفسية من الفجائع المقعدات تسكن كما يسكن البحر المائج في لحظة واحدة ساعة انتهائي إلى مقطع الرأي فيها ، أو ساعة علمي بما ينبغي أن أقابلها به من عمل . وهذا الذي ينوب في طبيعتي مناب الإفضاء والبوح وما أسميه التوجه إلى محراب الاعتراف

أما الأمر الثاني الذي دعاني إلى إحراق يومياتي فهو راجع إلى حوادث الفترة التي نعيش فيها لا إلى البواعث الخلقية

وخلاصته أنني دونت تلك اليوميات لأستعين بها على تاريخ الفترة وتحليل أخلاق رجالها . ثم رأيت في أثناء الثورة الوطنية وبعدها بقليل أن ملفقي التهم ومدبري المكائد يستعينون بأمثال هذه اليوميات على شبهخ القضايا وإحراج الأبرياء ، وظهر لي أن إثبات ملاحظاتي على رجال الفترة من العسر بمكان مع تعرض اليوميات للمصادرة والسؤال ، فآثرت إحراقها أيام اشتداد المحاكمات والمصادرات وأحرقت معها رسائل شتى وصوراً وأوراقاً لها في حياتي الخاصة أثر لا يزول ، وفاتني بإحراق هذه وتلك نفع كبير في مراجعة الحوادث التاريخية وصيانة الذكريات النفيسة ، ولكنه أقل من الضرر الذي كنت متعرضاً له ومعرضاً له غيري لو أبقيت عليها وحدث ما كنت أتوقعه بسببها

على أنني ودعت كتابة اليوميات ولكني لم أودع كتابة المذكرات أو كتابة ما يقول عنه الأديب صاحب الخطاب أنه قصة من الحياة الشخصية والأدبية والسياسية تكون درساً مفيداً لشبان هذا الجيل والأجيال المقبلة

ففي نيتي وأمام ذهني كتاب كبير أكسره على أجزاء منفصلة وأفرغ كل جزء منه لناحية مستقلة تتناول حياة الأديب وحياة الصحفي والنائب والسياسي معاً وحياة الإنسان في خاصته وعامته وحياة الباحث عن نفسه وكونه وإلهه وسائر ما يتصل بالعقيدة والسريرة الدينية

ويخيل إلي أنني لو فرغت سنة واحدة مكفي المؤونة استطعت أن أفرغ من أجزاء هذا الكتاب كلها بغير عناء كبير ، لأن أصوله وموضوعاته قلما تحوجني إلى مراجعات تفصيلية بعيدة من الذاكرة والوجدان

* * *

تلك كلمتي الوجيزة في اليوميات ، وما كتبت منها وأنوي أن أكتب بعد حين

أما سؤال الزواج ، فقد أجبت عنه في (الرسالة) جواباً يغني فيه الإجمال عن الإسهاب ، وكل ما أزيده هنا أنني أستغرب المصادفة التي ساقت إلى أربعة أسئلة في شأن الزواج خلال شهر رمضان ، وإن كان أحدها لا يستغرب في وقت من الأوقات ، لأنه مزمن قديم يأتي من السيدة الوالدة على غير ميعاد ! فهل شهر رمضان — وما يعقبه من أفراح الأعياد — هما المسئولان عن مصادفة الأسئلة الثلاثة الأخرى ؟

وأما أمنيتي التي يسألني الأديب عنها سؤاله الأخير ، فلعلها لا تشرح في ذيل هذا المقال ، وأحرى بها أن تؤجل إلى مقال قريب ، لأنني لا أطرق منها جانباً يخصني دون غيري ؛ بل أطرق منها ما يصح أن يمتد إليه كل بحث وينظر فيه كل ناظر

عباس محمود العقاد

١٢ ـ أومن بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

التحرر من التاريخ — نحن غير البائدين — تلاميذنا أصح علما بالطبيعة من أرسطو — العلوم والفنون ليست تحفاً تقتنى منفصلة عن النفس — لا بد من قلوب حديثة — من جرائر التاريخ — الانسان يصنع أقداره — استطراد إلى مشكلة القدر — إلى المتطيرين بحثا من غير توسمهم — الآن فقط وجد الحق أدوات الدعوة لتصحيح الأفكار عن الحياة — عباب التاريخ يجرف الطفولة النضرة مع الجيف القذرة ! — لا مفر من عزل الطفولة لتصحيح أفكارها — مناقضات بين ما في الشوارع وما في الجامعات — صورة من دراستنا الحالية للتاريخ — طبائع مدلسة ليست بنت زمانها — ما يستهلك الخير وما يستهلك الشر — هل مضت الحاجة إلى دور الغرائز في خدمة الحياة ؟ — حرب الآلهة

طالما ألححت بقلمي على التاريخ : هذا الجدار الهائل ... هذا السد القوي ... هذا السجن المتين ... لأحطمه وأنقذ نفسي من جوه المسمّم الخانق !

وطالما قلت : ما دام هذا الماضي القاصر الجاهل الخرف الوحشي يحمله الإنسان في أوعيته وأعصابه إلى الحاضر ، فهو دائماً في ضلاله القديم ، كما يعيش حامل الميكروبات الضارة دائماً في أمراض ونكسات .

والحقيقة التي يجب أن توضع نصب العيون الآن هي أن هذا الإنسان المصري هو غير الإنسان البائد بلا شك ! هو غيره في علمه وإدراكه الطبيعة وتذليله لعقبات الحياة واضطلاعه بأدوات تحقيق الاحتياجات وتفتيحه لكنوز الأرزاق والأقوات

فكيف يرضى أن يحمل ذات قلبه القديم وغرائزه كما كانت وأن يحمل غشاوات القرون الأولى ليعيش بها في عصر الانكشاف والظهور والقدرة الفائقة ؟ !

كيف يرضى من ملك زمام اليابس والبحر والجو وذرع الأرض بالطول والعرض ، ونبش كنوزها أن يعيش بأساليب الذي كان لا يعرف غير طريق القرية أو النجع أو الجزيرة التي يعيش فيها ؟

إن تلاميذ المدارس الابتدائية أصح علماً عن الأرض والطبيعة من سقراط وكونفوشيوس وأرسطو وابن سينا والفارابي وغيرهم من حكماء القدماء ؟ فكيف ترضى الإنسانية الحالية أن تعيش حياتها النفسية بأساليب جهلاء عصورهم ؟ !

إن التاريخ النفسي للحياة الإنسانية ينبغي أن يدرس بعين غريبة عنه ناقدة له في شك وارتياب . فما هو إلا سجل جهاد الناس في سبيل وصولهم إلى حقائق هذا العصر الحالي . فما يليق أن تؤخذ مرحلة من مراحله محطاً يطمئن الناس إليه بعقولهم ؛ لأن مراحله السابقة كانت مراحل موضعية ضيقة خاصة بأمة ما من أممه . ولكن أمر أمم الناس الآن أمر جماعة توشك أن تتقارب أهدافها وتشتبك مصالحها وتشتجر اشتجاراً لا خلاص لفروعها منه أبت أم كرهت

هل من المعقول أن نلبس ملابس الحياة الحديثة على الأجساد ثم لا نغير ملابس النفس ؟ أنكون قروداً وببغاوات تحكي قضايا العلم الطبيعي بألسنتها وظواهرها ولا تمثله قلوبها ونوازعها ؟

هل يكفي من العلم أن يقتنى في الحوافظ والذاكرات غير ممزوج ولا مدمج في الأعصاب والأحاسيس والانفعالات ، بل يوضع في الرءوس كما توضع التحف والدمى على الرفوف والمناضد للزينة والخيلاء والبيع والشراء عند الحاجة ؟

إني أرى العلم ينبغي له أن يكون في كياننا كالماء في أعواد الشجر الحي لا يقف تسربه إليه وتفريع حياته إلا إذا جف وأحطب ومات ... فلا شجر بدون ماء ...

إن عملية عظيمة في داخل الحياة النفسية الإنسانية تنتظر إجراءها لبناء قلوب حديثة تتلاءم مع الأفكار الحديثة !

* * *

ومن آثار التاريخ في الحياة المصرية هذا الخلاف المنيف بين الأديان بعد ما سطعت شمس الله الواحد ... وبعد ما أدرك العقل التناسق والانسجام والتوافق بين قوانين الطبيعة مما لا يمكن أن يكون إلا بإدارة يد واحدة !

ومن آثاره كذلك فيما أننا لا نزال نخضع لمنطق الأمم التي كانت تعيش متحاجزة في سدود وتخوم تفصل بين عقولها وأخلاقها ومرافقها ، وتجعل الدنيا دنيوات ، والإنسانية الواحدة أنواعاً متباعدة ، وتجعل من اختلاف الأجناس والألوان واللغات اختلافاً أصيلاً جوهرياً بين الطبائع الإنسانية يبيح هذه المداورة الفاجرة للبربرية المخربة للعمران ، ويحمل على المبالغة في البطش والطغيان ونسيان الصفات المشتركة بين بني الإنسان

ومن آثاره كذلك أن أكثر الناس لم يدرك بعد مدى الانتقال العظيم والترق السريع والتفاوت البعيد بين الحياة قبل القرن العشرين والحياة فيه ؛ ولذلك لا يزالون يضمرون فى أنفسهم اعتقادات متشائمة فى الإنسان ومستقبله ، ويدينون فى الحياة بدين السخط وإطلاق النرائر الخطيرة والآراء التافهة التى تجعل الإنسان يعبر الحياة بدون أن يجتهد فى ملء نفسه بأسرار التكوين ، وفى إضافة كشف أو اختراع أو منفعة إلى ميراث الحياة الإنسانية ... وليس هناك شىء أضر على الحياة الإنسانية من نزعة التشاؤم والتبرم والسخط على حاضر الإنسان ومستقبله !

ومن آثاره كذلك أننا رضينا أن يعيش أكثرنا جاهلاً أمياً لا يفقه مبادئ العلم والحياة التى فى رءوس العلماء مع أن نمو تلك الأسرار يتغير ويتقدم كل صباح ومساء ... وكأننا بذلك وأدنا هؤلاء الأحياء ودفناهم كما كانت تفعل جاهلية العرب بموءودة الأجساد ... وكان هذا الإهمال منا بمثابة فعل من رأى أهله يموتون ظمأ واحتراقاً ، وهو على علم بمنبع ماء غزير يطفئ غلتهم ولوعتهم ويحيى نفوسهم ولكنه لا يسعى إلى إنقاذهم ...

ومن آثاره كذلك أننا نعيش فى ذهول عما يحيط بحياة الإنسان الآن من كنوز تتفتح وأعاجيب تخترع ، فترى الناشئ منا ينشأ بين القطارات والسيارات والطيارات والراديو والتليفون والنواسات والفونوغراف والفوتوغراف والسينما وغير أولئك ، ثم يجهل أمرها وتركيبها ولا يدرى عنها شيئاً ولا يكلف نفسه سؤال أحد عن نبئها العظيم ... كأن ذلك شىء تافه أو أمر بدهى لا يحتاج إلى فكر شديد وتعجب بالغ !

ومن آثاره أننا برغم إدراكنا الآن كثرة الأقوات وكفاية الأرزاق كثرة وكفاية تشبعان حاجات الإنسانية جميعها لو وزعت توزيعاً معقولاً بدون احتكار وتحكم وإتلاف لجانب من المحصول فى سبيل الاحتفاظ بالأسعار المرتفعة ... لا نزال نطيع الجشع والطمع ونعمى دواعى العدالة والرأفة بالطبقة المحتاجة المجهودة !

ومن آثاره أننا لا نزال نغطى عجزنا وكسلنا بالاستسلام لما نسميه « الأقدار » ، مع أن مفتاح الأقدار بأيدينا ، ومع أننا نرى أننا نصنع أغلب أقدارنا ، ومع أن دائرة الإيمان بالأقدار فى الدين لا تتعدى منطقة الصبر على المصائب والكوارث التى تأتى إلينا بدون حيلة أو خيرة منا ، ومنطقة الرضا بما نحصل عليه بعد الجهاد ...

وهنا مكان استطراد إلى مشكلة الأقدار لا بأس أن نرسل فيه بعض الحديث :

هناك أقدار نريد أن تتحقق ، وهى أقدار الخير والسعادة ، وهذه موقفنا منها يجب أن يكون كما يأتى :

أن نسعى جهدنا للتمهيد لتحقيقها بالأخذ بأسبابها التى تهدينا تجاربنا إلى أنها عوامل جالبات لما نسعى إليه . فإن تحقق ما نبغى فذاك ، وإن لم يتحقق — وهذا قليل نادر — علمنا أن الإرادة العليا المسيطرة على وجودنا لها غاية غير غايتنا فى تلك المسألة التى نسعى لتحقيقها . والإيمان بتلك الإرادة يقضى حينئذ بالإذعان والتسليم لقدرها العالى الذى لا حيلة معه

وهناك أقدار نريد ألا تتحقق ، وهى أقدار الشر والشقاء ، وهذه موقفنا منها يجب أن يكون كما يأتى :

أن نسعى جهدنا للتمهيد لدفعها بالأخذ بالأسباب التى تهدينا تجاربنا إلى أنها عوامل دافعات لما نخشاه ونتجنبه . فإن كان ما نبغى فذاك ، وإن لم يكن كان علينا كذلك الإذعان والتسليم للإرادة العليا .

تلك هى مشكلة الأقدار فى جانبيها . وفى كلا هذين الجانبين رأينا أن على الإنسان أن يقدم جهده فى التمهيد لها أو دفعها . فإذا وقف أمامها منتظراً مكتوف اليدين مشلول التفكير كان حرياً أن تأتى إليه أقدار الخير فلا ينتفع بها إذ لم يبذل لها جهداً من فكره وأمله ، وكان حرياً كذلك أن تنزل عليه أقدار الشر فلا يسعى لتخفيفها وأن يجزع منها جزع الذى يظن أنه كان فى مقدوره أن يدفعها ولكنه قصر فى ذلك ، فيظل ملوماً محسوراً ...

* * *

والحياة العملية ذات البراهين البريئة من الجدليات توحى إلينا بل تحدثنا بكلمات مقروءة مسموعة بريئة من غموض الرمز والإيماء أن الذى ينتظر أقداره بدون أن يسعى لجلبها أو دفعها لن تكون حياته إلا كحياة ذلك البدوى ساكن الصحراء الذى لا يعمل عملاً لجلب الماء ، وإنما هو ينتظر سقوطه عليه من السماء ، وطبيعى ألا تكون آماله بيده ، وأن يعيش حياته معرضاً لأخطار

الظمأ والجفاف معلق القلب مهدد العيش يتجدد قلقه كل سنة لأنه لم يملك من أسباب الحياة إلا بجبل بعيد هيهات أن يكون في يده دائماً ...

وأنى تكون حياة هذا البدوي من حياة بدوي آخر صمى حتى اهتدى إلى ضفاف نهر تملك منابعه بحوالب السحاب ، وتحلب الماء إليه جارياً ميسوراً ليده وأفواه دوابه وقطعانه ، ثم هو بعد ذلك يشق السواقي والقنوات ليصل منها الماء إلى كل بقرة بذرها!!

لا شك أن كليهما أخذ من مصدر واحد ، ولكن أحدهما حمل نفسه على العسرى ، والآخر حملها على اليسرى ... وشتان ما بينهما !

فلينهض الراقدون على آذانهم في الشرق الإسلامي مستعلين في صغار لعوامل الشقاء والحرمان ، حاسبين أن أحوالهم ضربة لازبة حتى يأتيهم آت من غير أنفسهم ينفخ في الصور ، فإذا الأرض حولهم جيوش وجحافل ، ومصانع ومعامل ، ومساجد ومعابد ، وحقول وجنات وعيون ، وإذا هم — بقدرة قادر ! — آلهة في الأرض يحكمون !

لينهضوا وليحرروا أنفسهم من قيود التاريخ النفسي الذي انحدر إليهم من الجاهليات فهم يعيشون به في الماضي وإن كانت أجسادهم تلبس أثواب القرن العشرين ...

ولتكن قوارع هذه الحرب أجراساً وأبواقاً تجمعهم وتدفعهم إلى السير مع قافلة سريعة المراكب ، متلاطمة المواكب ، غليظة الأثقال ، حاشدة جبال الحديد والفولاذ ، والقوى العارمة المجنونة التي يقول قائلها : « أنا القدر ! أنا القدر ! يا بني البشر ! »

* * *

هل لنا أن نزعم أن الحق وصل إلى نفوس أكثر الناس فأدركوا صدقه وجماله ثم مع ذلك رفضوه ، وحينئذ يحق لنا أن نتشاءم في مستقبل الإنسان ؟

أؤكد أنه لم يصل في عصر ما من عصور التاريخ إلا إلى القليل من الناس . وإلى الآن لم تقم دعوة إلى الحق الواضح في الطبيعة بدون أن توضع في طريقها أغشية وعقبات وعوقات تحجبه وتمنع الناس من إدراكه

والآن ، وقد تيسرت أدوات الدعوة وأدوات الإقناع وأدوات التربية يجب بدء دعوة ...

وإن في الناس لخيراً كثيراً جداً أعظم مما يتضح من النسمة التي نجدها فيهم الآن ...

والدليل على ذلك نجاح أمم الشمال في أوربا خلقياً ، فقد أثرت فيهم التربية حتى أوشكت بلادهم أن تخلو من السجون والجرائم والخيانة حيث الثقة بالنفس الإنسانية وطيدة هناك

إن أدوات سعة النظر في الحياة واتجاهاتها موفورة الآن لأغلب سكان الأرض ؛ ولكنهم مأخوذون عن ذلك بجرائر التاريخ . وكان من الواجب بعد العلم الغزير أن يوجد الفكر الهادئ والقلب الكبير الذي نضج وطاب ؛ ولكن عباب التاريخ وسيوله لا تزال تجرف الطفولة والبذور مع الجيف والقش والغثاء ... وتلقي الجميع إلى المصب الذي تلتقي فيه الأخلاط والضلالات التي تركها أبناء الجاهلة الأولون ...

فلا مفر من فصل البذور والطفولة وعزلها عن مجرى سيل التاريخ — وإنشائها بأيد غير ملوثة إنشاء يرضى به هذا الزمان وعلومه وفنونه ، ويؤهل الإنسانية لتلك الخلافة الواسعة المتعاونة في جهاد الطبيعة واستغلال بركاتها وثمراتها .

ولا مفر من تصحيح الفكرة عن الحياة وتوجيهها إلى الإيمان بها كرحلة ممتعة أتاحها القدر لمن يخرج من العدم ، فيجب صرفها في العمل والفرجة والاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من آفاقها

ولا مفر من تحويل عبقرية الفكر إلى عبقرية القلب والخلق والجسم . فالعلم والفن يجب صقل النفس بهما وإشراب الجسم إياها وإخراجه على مقتضاها بحيث لا تتخلف حياة الجسم وقواه وحركاته عن المدى الذي وصل إليه الفكر ... وبحيث لا يتخلف ما في الشارع والحقل عما في مدارس الفنون والعلوم والتجارة والزراعة وما إليها حتى تكون حياة الجماعة صورة ومظهراً صادقاً لحياة الجامعات والأندية الثقافية ، ولا يكون في الأمة مفارقات ومناقضات بين حياة الفكر وحياة الواقع .

ولا مفر من عمل كل إنسان على أن يدرك نفسه ويستغرق في التفكير في حياته وحياة الإنسانية ويتيقظ لتلك القوة والقدرة التي تتسلط بها الإنسانية على القوى العمياء الجبارة وتسخرها في خدمتها

وما الإنسان بدون يقظة للمعنى الفائق والروح السامي الذي في حياته إلا جسد يختلج ويضطرب في ذهول وبلادة ، ويحيا هكذا حياة مغناطيسية آلية

***

ولكي ندرك جرائر التاريخ على العقول وأثره في تدليس الحاضر وإفساده وتزوير النفوس سأعيد عليك حديث صورة لا نجهلها عن طرق دراسته على ألسنة المجائز وفي المدارس ومجالس القصص :

يتفتح عقل الناشئ منا فتلقنه عجائز بيته وشيوخ قومه ومعلمو مدرسته تاريخ قوميته وتاريخ الإنسانية بأغلاطه ونقائصه ومحاولات العصور القاصرة في فهم الحياة وجهاد الإنسانية في شق طريقها الأول بين الصخور والمتاهات والعقبات . فما يكاد عقل الناشئ يصل إلى دور الحكم والموازنة حتى يكون قد تطبع بما وعى وأصابه ثقل التخمة وحيرة الامتلاء والتبلبل

ذلك لأن التاريخ لا يدرس على أنه محاولات أولية من الإنسان فيها أخطاء كثيرة ؛ فيجب الحكم عليها حكم دور الرشد على دور القصور ؛ ولكنه يدرس وعليه طابع التقديس والإعجاب بالأقدمين والاعتزاز بهم في مغالاة وتعصب ، وبخاصة تاريخ القوميات والجنسيات

وكان من كبرى نتائج ذلك أن عاش كثير من الماضي الميت في الحاضر . بل وجدنا جماعات تفر من الحاضر لتعيش في الماضي وترى أنه كان الحياة .. ! وتعدم الناس بما فعلت الجدود وقالوا إنا على آثارهم مقتدون

فلم يفتح أبناء العصور المختلفة عيونهم على حياتهم في زمانهم بل فتحوها على الماضي وعاشوا به في الحاضر ، وظهر أثر ذلك في الافتتان بهوامش الحياة والعكوف على دراسة سطوحها وترك دراسة أصول الحياة وعلومها الطبيعية والتجريبية التي تبقى لها نتائج دائمة تسلم إلى نتائج أخرى في سلم الترقي والتطور

وقد لاقى أكثر الناس الحياة بطباع مدلسة ليست بنت زمانها ، وإنما هي بنت الماضي السحيق ، وحملوا معهم في رحلة العصور خرافات ووثنيات وسخافات احتفظوا بها حتى في القرن العشرين ، ووضعوها حواجز وعوائق في طريق الحياة الحديثة ذات المعجزات والنبوات الساطعة التي لا تحتمل جدلاً أو مخرقة !

وكان من نتائج ذلك أن وجد المصلحون في كل عصر ركاماً من الغباوات والجهالات توضع في طريق دعواتهم إلى الإصلاح والعلم وفتوح الذكاء ونور البصيرة ...

ليس قبيحاً جداً بالطفل أن يعترك مع إخوته على شيء يريده لنفسه ويريدونه لأنفسهم ، فيتصايحوا ويتضاربوا ويحطموا ما أمامهم ؛ لأن الطفل يعيش بالغرائز ، فهو أناني ضيق التفكير لا يدري أن أباه يملك الكثير ، ولا يفهم فضيلة الإيثار إلا بعد التمييز والتدريب

ولكن ما بال الأمم التي رأت خيرات الله تملأ فجاج الأرض تتقاتل على البحر الزاخر والحقول الممرعة والجو الواسع ؟ إن ذلك من أخلاق الطفولة وضيق آفاقها وتحكم الغرائز في حياتها، وهذه صفات وجدت لها في مخلفات التاريخ مبررات وحججاً وتأريثاً !

ومن العجائب أنهم يدمرون ما يسمون إليه من الغنى والثروة حين تثور غرائزهم ؛ وإن الحقد والشر والطمع لتستنفد وتهلك من مال الأمم الأثرة الجشعة ، ومن بغضها الهم الفياض ما لا يمكن الخير والسلام والإحسان والتعاطف والتفاهم أن يستهلكه أو يستهلك عشر معشاره ! !

ونظرة واحدة إلى النفقات اليومية للأمم المتحاربة الآن تكفي في البرهنة على هذا وعلى أن الإنسانية ما دامت مصروفة عن طاعة الحق والعدالة والحسنى ، إلى تحكيم الغرائز الدنيا والانحدار في مجرى التاريخ ، فسوف تظل هكذا تعمر لتدمر، وتعلم لتجهل ، وتتقدم لتتأخر

وكأن المقصود بحياة الإنسان إذا استمر على هذا هو تحقيق مشتهيات الغرائز وإظهار عبقريات النفس البشرية في التخريب بعد التكوين : فهي طوراً تبني وتعيش في صفات البناء وأخلاقه، وطوراً تهدم وتعيش في أخلاق الهدم وصفاته، لتدرك معالم الضدين المتقابلين الأبديين : الخير والشر ...

ولكن إن صح هذا كتعليل لحياة الشر في الماضي حين كانت الحياة محتاجة إلى دوافع الغرائز لتدريب الإنسان في طفولته على ما تهيئه له الأقدار في مستقبله وحمله على الاقتحام والكشف وتفتيق الحيلة ، وحين كانت نتائج ثورات غرائزه محدودة ضيقة

المغزل . والريف . ونفسي

[إلى الشاعر الثائه صاحب « أرواح شاردة » الصديق العزيز محمود طه]

للأستاذ راشد رستم

شردتُ من الحضر إلى الريف — وليس العجب أن يشرد المرء من الحضر إلى الريف — وإلا فأين معنى الشرود، وأين موطن الشرود، بل رأين الروح الشَّرود ...

أما أنت يا صاحبي، فقد شردت من الريف إلى الحضر! ذلك إذا عددنا مصر، بنيلها العظيم، وزرعها النضير، وإنسانها الكريم، ريفاً وأي ريف، ثم حسبنا بلاد الغرب بمياهها المدنية، ومدنها الفنية، ورهطها النشيط، حضراً وأي حضر ...

فهل أنا موفق هنا معك، أم أني شرود كذلك في هذا الخيال وهذا التشبيه؟ على أنه إذا كانت الأولى فاني منتصر، وإن كانت الثانية فلست أنت المنتصر ...

* * *

ولكن خبرني، ما بالي أثير عليك غبار هذا الجدل وأنا في سكون البكور من صباح منير، وسط ريف هادىء بديع! لماذا هذا الجدل وأنا في جو نقي نظيف، حيث البساطة والسهولة والوضوح! في هذا الصباح البدري الذي لا تصيح فيه الديكة إلا لكي تدعو النيام إلى القيام، والذي تحمل فيه الطيور النطاطة تحيات النهار — وهذا أول النور وآخر الظلام!

هذا صباح الريف، سكون ولكن حياة. وها هي الطبيعة، ناعسة تتمطى ولا تقوم. وأنا صاح قائم أذكر قول الشريف الرضي، رضيّ النفس، شارد الروح، وهو يقول:

وأكتم الصبح عنها وهي غافلة حتى تكلم عصفور على علم

* * *

وهأنذا أتحدث عن هذا الصباح الغريب، فقد كان صباحاً ساكناً، ثم ثار، ثم سكن. أثبت الحقيقة كما جاءت فيه — والحقيقة أصل لكل خيال — فقد جلست الساعة بعد هذا الشروق البهي، و « مغزلي » في يدي، وأنا في هذا المكان من الصعيد البعيد ...

وهذه هي الأرض تغمرها مياه النهر الكريم، تحفها سلسلة هذه الجبال الراسيات، يضم القوم بينهما هذا الوادي الأخضر السهل الفسيح الممتد

* * *

وإذ أنا في هذه الحال، هادىء النفس هادىء البال، إذا بالبلدة الناعسة، وهي تطرح عنها أطراف الليل، تستيقظ على صوت مزمار وطبل — جماعة يحجون إلى دير بالجبل بعيد — حتى إذا عادوا من نذرهم وقد مرُّوا علينا بالطريق، صبحونا مبدين مهكرين، ودخلوا القرية وافدين؛ حيّونا بأصوات البشير، وتلقيناهم بأحسن تكريم، وتبادلنا وإياهم في ساعة هذا النهار المنعش الصبوح، صفاء قلوب في صفاء قلوب

* * *

ثم أداروا علينا من أنغامهم موسيقى ذات دوىّ بعيد وحنو قريب، فأخذت القوم نشوة اليقظة بعد فترة الرقاد الطويل، وتولتهم هزة الفرح، فراحوا وزاروا الحي يزمرون ويطبلون، كما أنشأوا (يتحاطبون)، يحملون عصيهم في الفضاء، تدور بهم وهم بها دائرون، يبتعدون ثم يلتفون، وفي خفة يقفزون، ليس فيهم طالب ولا مطلوب، ولا غالب ولا مغلوب، إذ هم في لهو يمرحون، وأهل القرية من حولهم معجبون مبتهجون

* * *

حتى إذا تحول الطرب ودارت الرقص أنغامه، دارت في الساحة من الرجال أربابه، يتفكهون وإن كانوا به يتباهون! غير أن الخلخال رنانه، والخال المحجب سلطانه، وقد دق

لا تتعدى أضرارها إلى هدم أصول الحياة وتحطيم أسس الاجتماع ومخلفات الإنسانية ذات الحرمات والقيم التي لها اعتبارها، كما هي الحال الآن في نتائج هذه الحرب... فلن يصح الآن هذا التعليل بعد أن صار قتال الإنسان كقتال الآلهة لا كحسام الأطفال

وقتال الآلهة — لو كان هناك آلهة إلا الله — تخريب لأصول الحياة وسحق لبراعمها ومناطق نموها. وهم يعلمون بالطبع طرق التسلل إليها والإطباق عليها لأنهم فرضاً خالقوها وواضعو أسرارها ...

فلنوحد الإنسانية بعد أن صار لها قوة الآلهة في التخريب، كما وحدنا الأرباب!

ولنعلُ بأرواحها وأفكارها عن مستوى بنات الطين والتراب، من كل ذات ظفر وناب!

عبد المنعم محمد مهدوف

الطبل لبنات الحى دقاته ، فنزلن الساحة يخطرن وللقلب وقتها دقاته ، وأثارت بنات الحى فى الحى الرقص موجاته ، فارتفعت فى ميزان (الحرارة) شاراته ، وازدحم الميدان واشتدت حماساته ؛ فقد دارت بنات الحى فى الميدان للرقص دوراته ، وحمى الوطيس واشرأبت من الجمع هاماته ؛ هؤلاء هن للدلال والوقف والعطف سيداته ، وهؤلاء هن للف والليل والدوران ربّاته :

صان الإله رشيقةً مياسةً   أربت على الغزلان فى الجولان

* * *

ثم خلت الساحة من حسان راقصاته ، إلا التى هى من بنات الحى أبين باناته . هيفاء هيفاء ، تخطر فوق الثرى وكأنها تصعد فى الجو إلى ثرياته ، خفةً ورشاقة وسناء ؛ بينما تراها هنا إذ تراها هناك . وهى إن حنّت على الشيب أقبلت عليه ترعاه ، فتجعله من فرط الرضا شباباً ... فإذا تجنّت على الشباب تحولت إليه تسبيه هياماً فتجعله هباء أو سراباً ...

وكأنى بها حمامة الصبح وهذا هو الصبح قد لاح ، فهل تبعد يا أليف الهوى وهذا هو الإلف قد بان وسبحان الفتاح ؟ تعال . تعال . خذ الخصر بيمناك ، ودر بالساق مع الساق ، ولا تقل أين المساق . إن للحياة مداها ، وللروح فى حب الرضا قرباها ، ومناها ، ونجواها ...

* * *

وانظر الآن ! هذه هى الخيل تجرى فى أعنتها وفق هواها ، تدب دبيب السمد والخيلاء والخير معقود على نواصيها . وهؤلاء فرسانها لا يستطيعون لها كبحاً ، فتفزع تدخل بهم الساحة مسرعة ، كأنها تأبى إلا أن تأخذ نصيبها فى موكب هذا الصباح ، ولكنها ترتد سريعة جامحة ، كأنها من نيران أمامها خائفة ، وما هى إلا ذات الخلخال ، لا تزال فى الساحة قائمة ، لم تترك مكانها ، فكيف إذن للخيالة أن تستبيح الميدان ؟

لما أن رأتهم مندفعين ، وقفت وقفتها تكشف فيها لهم عن القسى والسهام ، فأدركوا ما قد يصيبهم من كبوات وغرام ، وخافوا على أنفسهم وخيلهم من الأذى والضرام ، وهكذا ارتدوا خائفين وهم هم السادة الشجعان ، من الخيالة والخيل والفرسان .

حتى إذا هدأ الروع ، واستقر الفؤاد ، عادوا بعدئذ إلى الساحة مطمئنين ، بل كراماً نازلين ، يدورون ويدورون ، يلعبون « ويفنّسون »

والخيل تزعُ مزعاً فى أعنتها
كالطير ينجو من الشؤبوب ذى البرد

وللخيل صيحات وللفرسان صيحات

وهكذا بين جمال وجلال وكر وفر ، وصهيل وتهليل ، تسود البطولة أجواءنا ، وتملك النعومة أرواحنا ...

* * *

حتى إذا بلغت نشوة الفرح حدها ، وضيافة الصبح حتها ، وأذن مؤذن الركب بالرحيل ، وأخذ القوم يعودون فى هدوء آسفين ، ونحن من ورائهم كذلك آسفون ؛ وخلا المكان ، وانفض السكان ، وإذا بى قد شردت من حالى دون أن أبرح مكانى ، وإذا بى يشتد شانى دون أن أترك شانى ، وإذا بى أرى منزلى بجوارى فألجأ إليه لأجد عنده خلاصى

* * *

وإنى وقد آخذ مقامى من هذا الرف النظيف ، أبدأ كل يوم فيه بما قد هويته صغيراً ، ولا أزال أهواه كبيراً : « غزل الصوف بهذا المغزل القديم المعروف ؛ إذ أجد للفكر إذا ما شرد ، وللنفس إذا ثارت ، راحة وسكوناً مع دورات هذا المغزل الأنيق الرشيق العتيق

وإنك لتراه يتدلى فى الفضاء دائراً دائراً ، معلقاً فى خيط رفيع دائماً ؛ ينساب من بين أنامل ماهرة ، قد تكون كذلك ناعمة ، تجعله خيطاً رفيعاً ناعماً ، تتجلى فيه دقة الصنعة إذا ما جعلته رفيعاً رفيعاً ، متيناً متيناً

تراه محمّلاً مثقلاً ، معلقاً فى ذلك الخيط المتين الرفيع ، كما يتعلق الهائمون الشاردون بالأمل فى خيط منه وحيد رفيع

يدور المغزل فى الفضاء مثقلاً مثقلاً ، كأنه النفس المثقلة بأنواع الهموم ، تنزلها يد الأقدار ، تلفها عليها فى سكون ودوام ، ثم تدور بها فى طيات هذه الحياة

هذا المغزل الذى بين يدىّ ، هو كهذه النفس التى بين جنبىّ ، حملتها كبيرة صغيراً ، ولا أزال أحملها كبيرة كبيراً

هذا المغزل بينما تراه خلياً حيناً ، مثقلاً أحياناً ، يدور فى فضاء الله ، كما تدور فيه هذه النفس ثائراً ، هادئاً صابراً

هذا المغزل مهما كان عتيقاً عريقاً ، فإنه متجدد دائماً ، نظيف دائماً ، وشيق دائماً ...

(مزروعة كوم النصورة)   راشد رستم

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

ديوان البارودي

للدكتور زكي مبارك

تمهيد — نقد مقدمة هيكل باشا — نصيب البارودي من علوم اللغة العربية — الخريات والغراميات — الجديد في شعر البارودي — التحكم في التاريخ — الطبيعة بين الصمت والنطق — المستغربون في عهد توفيق — تاريخ الشعر العربي — المصريون في عهد البارودي — ما صنع البارودي في منفاه

تمهيد

المقرر للمسابقة هو الجزء الأول، طبع دار الكتب المصرية وشرح الأستاذين: علي الجارم بك، ومحمد شفيق معروف؛ وهو يطلب من مخازن وزارة المعارف ومن شهيرات المكاتب

وللشارحين كلمة يشكران فيها النقراشي باشا «لاهتمامه بإنجاز طبع الديوان»، وهيكل باشا «لتكرمه بكتابة التقديم» وجعفر والي باشا «لكبير معونته»، والصيد أشرف البارودي «لإمدادها بأصول الديوان الخطية»

وكنت أحب أن يشير الشارحان إلى أن عناية وزارة المعارف بطبع دواوين الشعراء الذين رفعوا اسم مصر في العصر الحديث ترجع إلى العرابي باشا، فهو صاحب هذه الفكرة، وفي عهده ظهر ديوان حافظ ابراهيم سنة ١٩٣٧

وكنت أحب أيضاً أن يشيرا إلى الظرف الذي كُتب فيه التقديم، وقد تركه الدكتور هيكل باشا بدون تاريخ، لسبب توضحه الأسطر الآتية:

كانت وزارة المعارف إلى الدكتور هيكل في وزارة محمد محمود باشا الأخيرة، وفي تلك الأيام بُدِيء بطبع ديوان البارودي، وكان مفهوماً أن هيكل باشا سيكتب مقدمة الديوان؛ ثم استقالت وزارة محمد محمود باشا وتلتها وزارة علي ماهر باشا، وفي الوزارة الثانية كان النقراشي باشا وزير المعارف، فكتب إلى هيكل باشا يدعوه إلى كتابة مقدمة الديوان، مع أن ظواهر الأحوال كانت تقول بأن بين الرجلين شيئاً من الجفاء

ولو أشار الشارحان إلى هذه اللمحة الأدبية لكانت شاهداً جديداً على ما عند رجالنا من كرائم الآداب

وسكت الشارحان عن الشارح الأول، كما سكت عنه هيكل باشا، وفي الطبعات العلمية لا يجوز هذا الإهمال

ويستطيع طلبة السنة التوجيهية أن يسألوا أساتذتهم عن ذلك الشارح، إن كان يهمهم الاستقصاء

نقد مقدمة هيكل باشا

تقع هذه المقدمة في أكثر من ثلاثين صفحة بالقطع المتوسط، وقد كُتبت في ساعات غلب فيها الصفاء، فقد كان الدكتور هيكل في عزلة تشبه عزلة النساك بعد خروجه من المعارف، وكان يعاني الكَلَف بالخلوة إلى القلم بعد أن شُغِل عن الأنس به عدداً من الشهور الطوال

هي مقدمة جيدة جداً، وربما جاز القول بأنها أجود ما صدر عن الدكتور هيكل من الدراسات الأدبية، فقد نفذ إلى أعماق العبقرية البارودية، واستطاع في بعض النواحي أن يذيع سرها المكنون

وسيجيء في الامتحان التحريري سؤال أو أسئلة من هذه المقدمة، فمن الواجب أن نتناولها بالنقد الرفيق، لنساعد طلبة السنة التوجيهية على إدراك ما فيها من مقاصد وأغراض، فالنقد هو الذي يوجههم إلى فهم مدلولها الصحيح، وهو الذي يهديهم إلى مكانة البارودي في تاريخ الأدب الحديث

نصيب البارودي من علوم اللغة العربية

نص الدكتور هيكل باشا مرتين على أن البارودي كان يجهل النحو والصرف والعروض، والنص على هذا مرتين في المقدمة يشهد أن هيكل باشا لم يكن في هذا الحكم من المرتابين

فعمن أخذ (حيثيات) هذا الحكم القاسي؟

أخذه عن الشيخ حسين المرصفي، فقد نص في (الوسيلة الأدبية) على أن البارودي كان يجهل النحو والصرف والعروض؛ وكان يجب على الدكتور هيكل أن يذكر أن الشيخ المرصفي لم يقل

هذا القول إلا فى مقام الثناء على ما كان البارودى يملك من بوارق الفطرة والطبع ، وإلا فمن العسير أن نصدّق أن البارودى كان يجهل ما لا يجوز جهله من أصول النحو والصرف والعروض

ولكن أين الشواهد على علم البارودى بعلوم اللغة العربية ؟

فى الديوان رسالة مثبتة بالزنكوغراف ، وهى رسالة لم يلتفت إليها الدكتور هيكل ، ومنها آخذ الشواهد على ضعف الحكم الذى نقله عن صاحب « الوسيلة الأدبية »

وإلى معاليه أسوق الحديث :

١ — فى ص ٤٣ جاء بخط البارودى فى وصف ما عانى هو ورفاقه من هياج البحر :

« ومكثنا على ذلك ثلاثاً ، لا نجد فيها غياثاً »

وعند تأمل الخط نجد أن الأصل (ثلاث) و (غياث) ، وأن البارودى التفت إلى الخطأ النحوى فرسم ألفين فوق هاتين الكلمتين ، وهذا يشهد بضعفه فى النحو ، ولكنه لا يشهد عليه بجهل النحو ، بدليل هذا التصحيح

٢ — وفى ص ٤٦ نجد بخط البارودى :

« هيهات ، ما كل شامة خالاً ، ولا كل حلقة خلخالاً »

وعند تأمل الخط نرى أن الأصل (خال) و (خلخال) ، ونرى البارودى وضع ألفين فوق هاتين الكلمتين

والتصحيح فى هذه المرة أدق ، فهو فى الشاهد السالف كان التفاتاً إلى حكم الظرف وحكم المفعول فى الإعراب ، وهو فى هذا الشاهد التفات إلى حُكم (ما) الحجازية ؛ وكان يسعه أن يبقى هاتين الكلمتين من التصحيح ليسير مع النحوى الذى يقول :

وَمُهفهَفِ الأعطافِ قلت له : انتسب
فأجاب : ما قتـلُ المحب حرامُ

والذى يَفرق بين (ما) الحجازية و (ما) التميمية لا يوصم بجهل قواعد اللغة العربية

٣ — وفى ص ٤٩ نجد بخط البارودى :

« بل حسبت أن قطرات المُزن ، دموع أسالتها زفرات الحُزن » ! !

وننظر إلى العين من دموع فنراها كانت (عاً) ثم أصارها البارودى (عٌ)

فما معنى ذلك ؟ معناه أنه توهمها أولاً مفعول (حسب) ثم أدرك أنها خبر (أن) والذى يجهل النحو لا يدرك هذا الفرق

٤ — وفى الصفحة نفسها نجد البارودى يقول :

« اللهمّ يا هادىَ الضُلاّل فى الليل المُدْلَهِمّ ، وناصر الملهوفين فى غمرة اليوم المسلهِمّ »

وننظر فنجد البارودى محا كلمة (الملهوفين) وأثبت كلمة (الضُلاّل) حرصاً على الازدواج ، فنفهم أنه كان يعرف علم البديع

٥ — ومن هذا ما جاء فى ص ٥٠ حيث يقول :

« ما وعد إلا وأخلف ، ولا سالمَ إلا وأتلف »

فقد محا (سالمَ) وأثبت فوقها (أوعد) حرصاً على الجناس والطِّباق !

٦ — وفى مقدمة الديوان يحدثنا البارودى عن (ذِكر الشىء باسم غيره لمجاورته إياه) فنفهم أنه كان يعرف أشياء من علم البيان

٧ — ونصّ البارودى على قصائد فيها (لزوم ما لا يلزم) ، فكيف يقع هذا من رجل يحكم عليه هيكل باشا بجهل القوافى ؟

يضاف إلى هذا أحكامه على الشعراء وهى تدل على بصره بالنقد الأدبى ، وكذلك تدل استفادته من المعاجم على فهمه لأصول علم الصرف

وصفوة القول أن البارودى كان على بينة من علوم اللغة العربية ، وإن لم يصل إلى التفوق فى تلك العلوم ؛ فقد كان يعتمد على فيض الفطرة والطبع ، وهما أفضل أدوات الشعراء

الخمريات والغراميات

وطاب للدكتور هيكل باشا أن يؤكد أن البارودى لم يكن صادقاً فى الخمريات والغراميات ، وقد جزم بأن قصائده فى هذين الفنين لم تكن إلا محاكاة لأساليب القدماء

وهذا الحكم صواب من جانب وخطأ من جانب ، فهو صحيح فى الخمريات لأن أشعار البارودى فى الخمر لا تخلو من ضعف ، ولكن هذا الضعف لا يرجع إلى أن الخمر لم تذهب بعقل البارودى ، كما يقول الدكتور هيكل ، وإنما يرجع إلى أن وصف الخمر فن لا يحسنه جميع الشعراء وإن كانوا فى حبها من الصادقين

أما غراميات البارودى فهى صدق فى صدق ، وأشعاره فى العشق آية فى الإفصاح عن صَبَوات القلوب ، وقد تذكّر بغراميات الشريف فى بعض الأحيان

وما الموجب لأن تقول البارودى « كذبت » حين يتحدث فى أشعاره عن هواه ، مع أنه يقول فى مقدمة الديوان :

« إنما هى أغراض حركتنى ، وإياه جمح بى ، وغرام سال على قلبى »

أما أن كان الدكتور هيكل يريد تنزيه البارودى عن مآثم الفتيان ، فكلامه وجه مقبول ، فقد كان البارودى رئيس الوزراء فى بعض العهود ، ويجب على الوزراء أن يعيشوا بلا قلوب

الجديد فى شعر البارودى

ويقول الدكتور هيكل باشا إن الجديد الذى استدعى الإعجاب بشعر البارودى « هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو فى بساطة وسلاسة وقوة دون اعتماد على محسنات اللفظ البديعية »(١)

ونقول إن هذا التصوير بعيد من أذهان من عاصروا البارودى وكانوا مولعين بالزخرف والبريق ، وإذن يجب على الدكتور هيكل أن يتلمس رأياً غير هذا الرأى ، وهو قد اهتدى إلى الصواب بعد ست عشرة صفحة فقال :

« إن هذا الشعر كان جديداً كله ، كانت محاكاته الأقدمين جديدة ، وكانت معارضته إياهم جديدة ، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة »(٢)

فإذا أعيد طبع الديوان فليتفضل الدكتور هيكل بحذف الحكم الأول والاكتفاء بالحكم الثانى

التحكم فى التاريخ

البارودى قصيدة لامية قال فيها ما قال فى التنديد بالمصريين ، وينص الديوان على أنها قيلت فى عهد « إسماعيل » ولكن الدكتور هيكل يتعسف فيحكم بأنها قيلت فى عهد « توفيق »

فهل يملك الحق فى نقل القصائد التاريخية من عهد إلى عهد ؟

إن عصر إسماعيل كان مبعث نهضة بإجماع الآراء ، وعصور النهضات لا تخلو من بواعث الحب والبغض ، والحمد والملام ، فكيف نستبعد صدور قصيدة ثائرة فى عهد إسماعيل ؟ وكيف عرف هيكل باشا أن البارودى لم يذق فى عصر إسماعيل غير القرار والاطمئنان ؟

لو أن الدكتور هيكل التفت إلى القصيدة التى أثبتها بيده فى ذيل الصفحة الثالثة والعشرين لرجع عن ذلك الاعتساف ، وهذه إشارة فيها كل البيان

الطبيعة بين الصمت والنطق

وشاء الدكتور هيكل باشا أن يحكم بأن « البارودى إذ كان يسجل الصور فى شعره لم يكن يسجلها فى صمتها وسكينتها على ما يولع به عشاق الطبيعة الصامتة »

فما معنى هذا الكلام ؟ ومتى صمتت الطبيعة فى أوصاف الشعراء ؟

لعله يريد أن يقول إن البارودى كان قوى الشعور بحيوية المناظر الطبيعية ، وبما فيها من فاعلية وانفعال ، فقصر به التعبير عن بلوغ ما يريد

المستنيرون فى عهد توفيق

هم فى نظر الدكتور هيكل رجال الجيش ، وقصر الاستنارة على رجال الجيش فى ذلك العهد غير صحيح ، فقد كان فى مصر جماعات علمية وأدبية تفوق فى الاستنارة رجال الجيش ، والصواب وضع كلمة « السياسيين » فى مكان « المستنيرين » فقد كان رجال الجيش ساسة البلاد فى ذلك الحين

تاريخ الشعر العربى

ويقول الدكتور هيكل إن الشعر العربى قضى ألف سنة فى انحلال إلى أن بعثه البارودى ، فمن أين جاء بهذا القول ؟

أنحكم على ماضينا الأدبى هذا الحكم الظالم فى سبيل إنصاف البارودى ؟ ليرجع الدكتور هيكل إلى « مختارات البارودى » إن شاء ، فإن فعل فسيعرف أن البارودى يرى غير ما يراه ، فقد وصل اختياره إلى القرن السابع ، وصح له أن يحكم بأن سبط ابن التعاويذى وهو من شعراء القرن السادس كان يتابع الشريف الرضى ويمشى على أثر مهيار الديلمى . والبارودى الذى اعترف بحياة الجزالة الشعرية فى القرن السابع كان من شعراء القرن الثالث عشر ، وعلى هذا تكون المدة التى انحل فيها الشعر نحو خمسة قرون ، فكيف يجعلها الدكتور هيكل عشرة قرون ويوصى بإسقاطها من الحساب ؟

يشفع للدكتور هيكل أنه أراد المبالغة فى التنويه بمقام البارودى ، ولكن الإحسان إلى البارودى كان يتم بدون الإساءة

(١) ص ١٤
(٢) ص ٣٠

البحر ...

[البحر لا ينام وفي يقظة البحر تعزية لروح لا تنام]
« جبران »

للدكتور حسن عثمان
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

ضاقت نفس الشاعر بالأرض اليابسة التي تزدحم بالمدن ، وتمج بالحركة ، وتضيق بالتقاليد ، وترهق بالأوضاع والمظاهر ، فانطلق إلى الماء الفسيح ، إلى البحر الطليق ، يلتمس عوناً وملاذاً . واقترب منه رويداً رويداً وهو يشخص ببصره إلى زرقته من بعيد ، وصوت أمواجه المتلاطمة يعلوها الزبد يضرب في أذنيه ، ورائحة البحر المالحة تملأ صدره ، ورياحه تتخلل غصون الشجر ، فتهتز وتتمايل ، وتخرج منها أصوات تجاوب أصداء البحر . وأخذ الشاعر يطيل السير وحيداً على شاطئه دون أن تُسمع صوت أقدامه ، وهو ينظر مطرقاً إلى هذه الأمواج تصطفق ثم تنساب على الشاطئ . ويتأمل ويفكر ويحلم وينعم الطرف فيما هو قريب وفيما هو بعيد ، إلى أن يضيع نظره فيما وراء الأفق ، في رهبة وسكون

ثم يقطع تفكيره وسكونه أصوات حوله فيتلفت ، فإذا به يرى أخلاطاً من زبانية البشر ، من عبيد الأرض ، يهرعون إلى البحر لكي يطفئوا نيرانهم ، ويطهروا نفوسهم من الآثام والخطايا . ويلمح الشاعر في ناحية قصيّة نفوساً هالعة وقلوباً دامية تصرخ من أعماقها في الظلام ... فيسارع إليها ويدرك شكاتها لأول نظرة ... فتثير في نفسه كل هذه الرؤى كوامن الشجن ، وتهتز مشاعره ، وتنهمر دموعه اللعة الساجيات غزيرة مختلطة بماء البحر الملح . ويمس البحر الواسع الرحيب هذه النيران ، ويلمس تلك الخطايا والأشجان ، فيتقبلها ولا يلفظها . ويطهر الآثام ، ويأسو الجراح

وترك الشاعر مكانه واعتلى ظهر سفين مطوّفاً إزاء الشاطئ ، فشاهد صور اليابسة وألوانها . فهذه رمال وكثبان صفراء ، تعلو من بينها باسقات النخيل ، وتنحسر عنها مياه البحر الزرقاء ؛ وتلك جبال شاهقات تكللها الخضرة ، وأخرى صخور جرداء شامخات توازن بارتفاعها عمق البحر ؛ وأولئك هم الصيادون والنواصون يجمعون اللآلئ والمرجان والأصداف والأعشاب من كنوز البحر وعجائبه ؛ وهاتيك الطيور البيضاء تهبط إلى سطح الماء تلتقط الأسماك كأنها تشكو عسف البحر ، فتعلو في جوف الطيور إلى الفضاء ؛ وهذه الجزر وتلك الصخور

إلى تاريخ الشعر العربي . فليتفضل بمراعاة هذا الجانب من مقدمته في الطبعة التالية ، إيثاراً للعدل ، فما كان في أحكامه الأدبية من الظالمين

المصريون في عهد البارودي

حكم الدكتور هيكل بأنهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية ، وإنما كانوا يتحدثون بلغة أخرى هي العامية

وهذا الكلام يحتاج إلى تحديد ، فإن كان يريد الخواص فهو مسرف ، فقد كان هؤلاء في يقظة عقلية وروحية ، بدليل ما تركوا من نفائس المؤلفات ، وإن كان يريد العوام فهم إلى اليوم يتكلمون العامية ، ولم يستطع جهلهم أن يصد الخواص عن التحليق في أجواء الأدب الرفيع

البارودي في منفاه

اكتفى الدكتور هيكل بالنص على حنين البارودي إلى الوطن وهو في منفاه ، وسكت عن مسألة مهمة جداً ، وهي براعة البارودي في بعث « المدائح النبوية » بعد أن طال عليها الموت ، ولهذه المسألة تفاصيل يضيق عنها هذا المجال

* * *

أما بعد فهذه ملاحظات لم يكن منها بد ، لأن مقدمة الدكتور هيكل ستكون أساساً لدرس ديوان البارودي ، ومن واجبنا أن ننبه المتسابقين إلى ما يوجه إليها من الاعتراض ، ليكونوا على بينة من مكامن ذلك البحث الدقيق

وقد بقيت مآخذ لا تستوجب المسارعة إلى التنبيه ، ولعلها تدق عن أفهام طلبة السنة التوجيهية ، أما محاسن المقدمة التي كتبها هيكل باشا فهي أظهر من أن تحتاج إلى بيان

لم يبق إلا النظر في المقرر للمسابقة من أشعار البارودي ، فإلى الأسبوع المقبل

زكي مبارك

المتناثرة تحيطها مياه البحر ، وتتكسر حولها أواذيّه ، ويتصاعد ، على جنباتها رشاش الماء الأبيض ؛ وهنا وهناك ينبثق نور الفنار المتألق ، يشق حجب الظلام الحالك ، ويرسل شعاع الأمل وسط الضباب الكثيف

ويبتعد السفين صوب البحر قليلاً قليلاً حتى يختفى الشاطئ عن البصر ، ويتهادى أياماً وليالى طوالاً والأفق كله ماء وبحر ، تلونه أطياف الشمس وأعماق البحر ؛ فهو تارة أزرق داكن ، وطوراً أغبر مصفر . ويمر السفين فوق جوف البحر . إن قاعه أرض وصخور ووديان وجبال وبراكين وقارات وعوالم ساكنة ومتحركة فى أعماقه منذ الأزل . إنه عميق جداً . لا يصل الإنسان إلى قراره . ولا يعلم أحد كل ما طواه فى صدره . ما الذى طواه بالأمس ، وما الذى سيطويه فى الغد .

إنه يحمل الأطفال من البشر فوق سطحه الفسيح فى رفق وحنو . إنه يجول بهم ويستقبل الشمس إذ تبزغ فى الصباح وترسل نورها فوق محيطه الواسع ، وتغرب عند الأصيل وهى تودعه بأشعتها الأرجوانية . وفى الليل الصافى الساكن تتلألأ السماء بالنجوم البراقة ، ويبدو القمر هلالاً وبدراً ساطعاً خلال السحاب الخفيف ، فتنعكس أشعته الفضية على صفحته اللامعة ، والنسيم يلمس أمواجه المهتزة المتلاقية . إنه هادئ وادع أليف . إنه يطرب . إنه يبسم وينشد ويترنم .

وفجأة يكفهر الجو ، وتتلبد السماء بالسحب ، ويومض البرق نذير العاصفة ، وتشتد الريح ، ويقصف الرعد مدوياً ، ويدفع الإعصار أمواج البحر شاهقة تطاول السحاب ، ثم تعود فتتكسر وتهوى على صفحته الصاخبة . إنه غاضب . إنه ثائر عنيف . إنه جبار . إنه يدوى بصوته الغاضب إلى عنان السماء . إنه رائع . إنه هائل جداً . إنه يطوح بالسفن فوق سطحه ، ويقذفها عالية فوق أمواجه ، ثم يهبط بها فى لجته السحيقة . إنها ألاعيب تحمل طُرزاً من الكائنات ترتدى أثواباً زرقاء وحمراء وصفراء . إنها دُمى يمحو البحر ما بينها من فروق اليابس ، ويذيب عنها خيلاء الأرض . وكلها تتساوى وتصغر وتتضاءل أمام جبروته . ويفرق واضحاً أمامها الحد بين الأمس المعلوم وبين الغد المجهول ، فتتأرجح كلها بين الحياة والموت فى لحظات رهيبة ... ونبتون يطلق ضحكاته فى الفضاء ساخراً ! ... ثم تنجلى العاصفة ، وتسكن الريح ، ويعود البحر هادئاً وادعاً أليفاً ، ويداعب هذه الخلائق التى أرهقها غضبه وثورانه ... وحينئذ تثوب النفوس إلى رشدها ، وتعرف القلوب دناءة الأحقاد وصغارة المطامع ، وتنقشع عن البصائر غشاوة الباطل وزور البهتان

أيها البحر العريق ! يا أبا الأرض ويا أصل الوجود ويا معلم الإنسانية ... أيها الحاجز بين القارات ، أيها الواصل بين العوالم ، يا من أجرت سحبك أنهار الأرض ، وأقامت أمطارك معالم المدنية ... ويا من على سطحك جرت الفلك تحمل ثمار الحضارة ... ويا من شهدت أعطافك جولات القراصنة ، وسجلت أمواجك التحام الأساطيل ... ويا من خشعت مياهك فأفسحت الطريق لبنى إسرائيل ثم أطبقت على آل فرعون من القوم الظالمين ... !

أيها البحر العظيم ! لقد عبدك الأقدمون ، ورسم أطيافك المصورون ، وردد صدى أنغامك الشعراء والموسيقيون . . . إنك هادئ صاف رائق . إنك ثائر عاصف عميق . إنك جميل أزرق . إنك مائج جامح . يقرأ الشاعر على صفحتك ما لا يسطره القلم ، وما لا يقرأه الأميون من الناس . إنه ينصت إلى أساطيرك وقصصك . إنه يستلهم معانيك ووحيك ، ويبهره جمالك وجلالك ، فلا يطيق النظر إليك ، ويغمض العينين دونك ، وتشيع فى نفسه رائحتك ، وتمر فى خياله ذكرياتك وصورك

حسين عثمان

صدر اليوم :

كتاب

الأمصار والعمران

وهو الباب الرابع من مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون

قررته وزارة المعارف للمطالعة فى السنة التوجيهية

لشعبتى الرياضة والعلوم

قدم له ، وضبطه ، وشرحه ، وجلَّى نظرياته العلمية

محمد سعيد العريان

يطلب من المكتبات الشهيرة فى القاهرة والأقاليم

وثمن النسخة خمسة قروش

مواسم الأدب

للأستاذ كرم ملحم كرم

يوم لنا ويوم علينا. هذا حال الأدب؛ فلا بد فيه من يقظة وهجمة. والأدب وليد الحس، والحس تتفق له حيناً وثبات يصاول بها الفلك، ويدهمه حيناً سكون تتغلب عليه فيه نومة ... هجمة الموت أهنأها!

فكأن للأدب مواسم يشع فيها ويكشف عن جبينه وقد دانت له مغلقات الوحي، وتفتحت عليه سموى الإلهام. كأنه يتقلب بين سعود ونحوس؛ فيضيء نجمة وقادة ليخبو كمصباح عطش إلى الزيت. فما إن تعصف به الناشية حتى تنهب باليانع من أطايبه، والنامى من أغصانه؛ ويحييه غيث ندىٍّ فيتلألأ بسخاء، ويزكو بسماح، ويعلو أبداً فيطول عين الشمس وينفذ إليها ساطعاً منها على الدنيا، مالئاً كل زاوية وهجاً وسنى!

ولقد بحثت عن الأدب فما اهتديت إليه بغير أبواب الملوك، وإنه ليجالس الملوك؛ يهشون له فيهش لهم، ويصدون عنه فيغمز بهم. فإن يهبوا له العطايا ينفحهم ببدائعه، وإن يمسكوها عنه وينتضوا في مقاتلته سيفاً حديداً يناهضهم بلسان أمضى من القاطع الفتاك

وما هي عطاياهم تجاه بدائعه؟... عطاياهم تذوب ونفائسه تبقى؛ عطاياهم تذوب لا تثبت على الأيام، على حين أن نواجيه تفل من عزم الأبد، ولولاه، لولا ما يخلع عليهم من مديح، لتناست الأجيال المتعاقبة معظمهم؛ وحتى أهاجيه تمد آجالهم، فيصونهم الخلود، لكون الأدب تغنى بمآتيهم، أو أحسن النيل منهم وأبى على الزمن أن يبيد آيات سمت عن التلاشي والاضمحلال

بيد أن فضل الأدب على الملوك لا يمحو فضل الملوك على الأدب. فما بلغ الأدب أشده، بل هو لم يتنفس وتختلج فيه الحياة المطمئنة الوضيئة، لولا أن هؤلاء الملوك يغذونه بعطاياهم، وتوحى به مجالى الأبهة والجلال في معيشتهم وسكناهم. فالمهابة والندى من باعثات الوحي وحوافز البيان. فلا بد لمن تكمن فيه آيات البلاغة أن يحتضنهما ويبوح بما يجيش في نفسه من إعجاب وإجلال...

فالتاج والصولجان ينطويان على عظمة ملموسة تفتق الناطقة على جودها، وتستل من أعماق القلوب الكلام الجنح والمنطق الحلال. فيفيض الأديب الموهوب بالبيان الصافي، وينتزع المعاني من مخابئها؛ بل هو يغوص عليها في مظانها يجلو بها العقد النظيم ويدفعه أنيق الصياغة، ساطع الجبين!

وقد تندفع إليه هذه المعاني عفواً، دون ما كد ذهن ولا إجهاد نفس. فالعظمة المنبسطة أمامه بسلطانها وبهائها تهب في لبه القوة على توليد كل معنى جليل ليعادل بنصح بيانه المشهد السامي المنمة، المحفوف بالنعمة، المتوهج في عينيه

والملك الضليل نفسه لم يبلغ مكانته الشامخة في أدب الضاد لو لم يمش في أحضان ملوك، ويستنشق في بلاط أبيه شميم العزة، ويلمس بيديه فخامة السلطان. فأقبل إلى ساحة الأدب مثقلاً بفخفخة الملوك، وكان أدبه صدى هذه الفخفخة البهيجة اللماعة المجلببة بالنعمى، اللينة الجانب، السكينة الهنيان

وامرؤ القيس، الملك الضليل، في طليعة موكب الأدباء في لغة الضاد. فما لقى الأدب بيانه المنشور في سوى بدائع ذلك الفتى وقد جمحت به العاطفة فانطلقت من كبده حافلة بالقول الشهى والصوغ المحكم الأداء. وتوالت من بعده السلسلة حلقة حلقة، وكلها تنم عن طيب أصحاب الجلالة، أو من يستوى في معاقلهم من أصحاب الجاه الوسيع، والظل المأنوس؟

ومن أنطق بالأدب المصفى المتسلسل، وابن أخته طرفة بن العبد، وابن كلثوم، وابن حلزة اليشكري سوى الملك عمرو بن هند؟ ... فإن هذه القافلة من أدباء العهد الجاهلي مدينة لابن هند في الإبداع في النظم والإنشاد. وأنى لابن كلثوم أن يسمعنا معلقته التياهة:

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لولا عمرو بن هند الملك الأثيل المجد الأبلج المتمى؟

وهذه الشعلة المتأججة في منظوم النابغة الذبياني، أين كنا نجدها لولا النعمان بن المنذر، أبو قابوس؟ ... فالنابغة لم يسحب في أبياته وقوافيه ذيل الدل والإعجاب لولا هيبة السلطان وعاصمه الجليل:

فإنك كالليل الذي هو مدركي   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ومثله لبيد. فالنعمان مهد له السبيل إلى النظم والإجادة وهو في سن تقصر عن البلوغ. فطعن في حضرة صاحب السلطان على الربيع بن زياد العبسي طعنات دامية أزاله بها عن مكانته السامقة وقد صاح بالنعمان والربيع يؤاكله:

مهلاً ، أبيت اللعن ، لا تأكل معه !

ولن ننسى ابن أبي سُلمى ، زهيراً ، صاحب الحوليات القائل :

سئمت تـكاليف الحيـاة ، ومن يعش
ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

فإن عليه لهرم بن سنان يداً في إقامة النظم وفي تذليل المعاني الحسان :

تراه إذا ما جئتـه متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

والأعشى . ماذا تقول في الأعشى المتكسب ، جوّاب الآفاق ؟ أما أقام بباب الأسود ، أخي النعمان ، يغالي في المدح ويسأل العطاء – والمُنى تفتح الفمّا ؟

هذا في العهد الجاهلي . ولقد كان العهد الإسلامي في مستهله أمضى حافز على النظم والإبداع . فالدعوة الإسلامية بحاجة إلى من ينادي بها ، ويذيع فضائلها ، والخصوم يتألبون عليها . فانتصب للمنافحة عنها حسان بن ثابت الأنصاري . واعتمده النبي العربي في الكفاح . وأسمعنا كعب يتيمته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ ...

وطاف الحطيئة بالأبواب يستندي ويستجدي . ومن أمسك عند يده هدده بقحات لسانه ؛ فأنجده في الجاهلية أبو سفيان ، وأجزل له في الإسلام العطاء عمر بن الخطاب ، فابتاع منه لسانه بثلاثة آلاف درهم لئلا يطلقه في سب المسلمين لا يخشى ، ولا يتحامى لخش القول والتهشيم

ونبض العهد الأموي بالحياة ، فإذا الأخطل يبدو ويقبل في أثره الفرزدق وجرير . ثلاثة معاول الهدم ودك المعاقل المشمخرة . وبسط معاوية يده في استمالة الأدباء فكان للأدب في عهده موسم خصب وسوق نافقة . فكل من أحس في نفسه ميلاً إلى الأدب تبع ميله وماشى هواه . فالعهد بات عهد نظم وخطابة وإنشاء ، يمدح الأدباء معاوية ويزيد ابنه فتمتلئ أيديهم بالعطايا النفيسة ، وينعم الخلفاء ويكسب الأدب !

ولم يعدم هؤلاء الأدباء ساعات لهو يبيحون فيها النفس سجيتها وينطقون بما ينتفض في قلوبهم من عاطفة مشبوبة وهوى دفين . فيحدثنا الأخطل عن حبه للكأس واستهانته بابنة العنقود وينسب جرير بفاتنته أم عمرو وقد سلبته صفاء القلب ؛ وتسبيه حور العيون ، فما يمالك أن يقول :

يقتلن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

ويفضح الفرزدق نفسه في مقاله :

هما دلتاني من ثمانين قامة ...

وهو هو القائل في زين العابدين ، حفيد علي بن أبي طالب :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد خُتموا

والقصيدة من أسمى المنظوم ، وهي في المدح لا عديل لها ، فمن أوحى بها ؟ ... ابن بنت النبي ، ملك من سلالة ملوك وإن هم ناموا في مطلع نهضتهم عن التاج والصولجان

وعظمة سحبان وائل ، الخطيب البليغ اللسان ، أين تجلت في أبهى جلالها ؟ ... أليس في بلاط معاوية الأول ؟ ... وبيان عبد الحميد الكاتب أين سما ؟ في بلاط الخليفة الجعدي ، خاتمة الملوك الأمويين !

* * *

وزحزح العهد العباسي لثامه فإذا ابن المقفع في خدمة أعمام الخليفة ، وإذا الخليفة العباسي الثاني يدعوه إليه ويكلفه نقل الكتب الأعجمية الذائعة الصيت إلى لغة الضاد . وهكذا نعمنا بكليلة ودمنة ، أنقى مثال للأدب الوزين !

واتسع المجال في منتدى الخلفاء لكل ناظم وكاتب . فقام أبو دلامة وأبو معاذ الأعمى بشار بن برد ، في بلاط المهدي . واشتد الإقبال على الأدب . ولم يكن بيت المال في بغداد دون بيت المال في دمشق ، فتألفت المدارس الأدبية ، وبدا المنشئون في سطوة وهناءة . فالعباسيون شاءوا أن يبزوا الأمويين في العلم وبث الدعوة . وما خلا الجو للرشيد حتى أصبح أدب الضاد مشعل هدى ؛ وكان قد أضاء في سمائه الخليل بن أحمد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهية ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ، وسيبويه ، والجاحظ ، والكسائي . وجاء المأمون فإذا أوسع نهضة أدبية في لغة الضاد تتجلى . فما شهدت لغتنا عهداً فواحاً خصيباً في الأدب والعلم كعهد المأمون !

وقُبض المأمون فقامت دولة أخيه المعتصم . وفي كنف المعتصم لمع أبو تمام . وكان المتوكل فنبغ في رعايته الشاعر البحتري . وانتهى الموكب إلى المتنبي فتلظت مواهبه في حمى الملوك ، ولا سيما في بلاط سيف الدولة الحمداني

وما شذ الأدب في الأندلس عن القاعدة . فعاش في ظلال الملوك وانطفأ بانطفاء الملوك ، مثله في دمشق وبغداد . فما إن تنقضي الدولة حتى يأوي إلى المضجع . ولقد طال هجوعه نحواً

جميل نخـــلة المدور

١٨٦٢ – ١٩٠٧

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٤ – مؤلفاته

الذى لم يقف على شيء من ترجمة المؤلف قد يظن أنه رجل عراق، وهذا أمر متوقع! فإن جميل نخلة المدوّر، عُنِيَ عناية خاصة بتاريخ العراق، وخدمه خدمة مشكورة يحفظها له التاريخ على مدى الأيام، ويقدرها له أبناء العربية حق قدرها، وعلى الأخص أبناء العراق منهم

فلقد قضى ردحاً من حياته فى تدوين تاريخ العراق قبل العهد الإسلامى وبعده بكتابيه: (تاريخ بابل وأشور)، (حضارة الإسلام فى دار السلام) اللذين سنخصهما بجزء من كلامنا فى ما يلى من هذا المقال. ودونك لمحة عن كل من مؤلفاته:

١ – تاريخ بابل وأشور

لا نُغالى إذا قلنا إن (تاريخ بابل وأشور) هو أول كتاب ظهر من نوعه فى اللغة العربية! والذى نعهده، أنه لم تشهد العربية منذ صدوره حتى يومنا هذا سوى كتابين فى هذا الباب: أحدهما (تاريخ كلدو وأثور[١]) للعلامة المأسوف عليه السيد أدّى شير. وثانيهما رسالة بعنوان: (مقالة فى مملكة أثور[٢]) للعلامة البطريرك رحمانى. ولم نهتد إلى غير هذه التصانيف الثلاثة باللغة العربية مما يتعلق بهذا الموضوع الواسع النطاق. مع أن الكتب الموضوعة فيه باللغات الافرنجية تكاد لا تحصى لوفرتها!

على أن لجميل نخلة المدوّر فضل السبق فى هذا الميدان؛ فقد نشر كتابه أولاً فى مقالات ظهرت على التوالى فى اثنين وعشرين جزءاً من المقتطف[٣]. ثم جُمعت تلك المقالات فى كتاب خاص طبع ببيروت فى المطبعة الأميركية سنة ١٨٧٩ فى ٦٢ صفحة. ثم جُدّد طبعه بمطبعة الفوائد ببيروت سنة ١٨٩٣ فى ١٢٨ صفحة

ولا نرى للتعريف بهذا الكتاب خيراً من أن نقتبس من مقدمته الفقرة التالية على لسان مؤلفها[٤]:

« ... وألّفتُ هذا الكتاب فى تاريخ أشور وبابل، وقد جمعته من أشهر أقوال المؤلفين فى هذا الأوان، مما وصلوا إلى تحقيقه بعد شهادة الاختبار والعيان؛ وقسمته إلى قسمين: أحدهما جغرافى يبين الحدود والمساحات، والآخر تاريخى ذكرت فيه ترجمة من اشتهر من ملوكهم وعظمائهم، وما اشتهر لهم من الفتوحات وعظائم الأعمال إلى حين انقضائهم ... »

وهذا الكتاب « وقف عليه اللغوى الشيخ إبراهيم اليازجى فهذّب عبارته وصحح مبانيه، فجاء نقياً من الكلف، بريئاً من الكلف، قريب اللفظ على بُعد مرامه[٥] »

وكم كنا نود، لو أشار المؤلف إلى المراجع التى استند إليها فى تصنيف كتابه، التى نظنها كانت بالفرنسية، لإجادته هذه اللغة على ما أسلفنا الكلام عليه

(١) طبع المجلدان الأول والثانى فى بيروت سنة ١٩١٢ – ١٩١٣، والثالث نفدت مسودته فى الحرب العظمى الماضية على ما انتهى إلينا.

(٢) طبعت فى بيروت فى (٥١) صفحة دون ذكر سنة الطبع. وهى فى الأصل نشرت فى المجلد الأول من مجلة « الآثار الشرقية »، الصادرة فى بيروت سنة ١٩٢٦

(٣) أنظر المجلدات الثالث والرابع والخامس من المقتطف، الصادرة فى السنين ١٨٧٨ – ١٨٨١ م.

(٤) تاريخ بابل وأشور (ص ٤ من الطبعة الأولى)

(٥) المقتطف (المجلد الخامس، ص ٥٥)

من سبعمائة سنة، فلم يتنفس بسوى انتظام اليازجى الأول فى ديوان الأمير بشير الثانى حاكم لبنان

وكان قد بعث فى وادى النيل فى عهد محمد على. وبلغ أوجه فى دولة عباس حلمى. وقد زانه شوقى وخليل وحافظ وإبراهيم اليازجى ونجيب الحداد وولى الدين يكن ومصطفى لطفى المنفلوطى بأبهى حلل البيان. وإنه ليتهادى اليوم فى خطوه متفيئاً دوحة أبناء محمد على الباذخة. فكأنه يستطيب أبداً صحبة الملوك. فلا تقوم له قائمة فى سوى جنابهم، ولا تتقد فيه العزيمة وتلتهب الحياة إلا وهو بمجالسهم. شوعه موسمهم، كأن دولتهم دولته، وكأن أبناءه أشباه لهم وأنداد!

(بيروت) كرم ملحم كرم

وقد وقفنا منذ زمن على بحث للعلامة الأب أنستاس ماري الكرملي عنوانه : (سلوان الأسرى فى إيوان كسرى[1]) ، فيه نظرات نقدية صائبة للأعلام الواردة فى هذا الكتاب ، وجّهها بشيء من العنف ، إلى مؤلف الكتاب ، أو بالأحرى إلى مصححه اليازجي

ومهما يكن من أمر فإن مباحث الكتاب أضحت فى وقتنا هذا قديمة لا يركن إليها ، نظراً إلى ما دخل هذا (التاريخ) من الحقائق الجديدة التى هى ولا مراء وليدة علم الآثار . ولا يخفى أن هذا العلم قد أحرز تقدماً مدهشاً فى مختلف الميادين خلال هذه المدة التى أربت على الستين سنة ! فإذا تركنا هذه الملاحظة جانباً ، وجدنا فى الكتاب بعد ذلك دليلاً واضحاً على ما كان عليه ذلك العلم قبل أكثر من نصف قرن ! وفى معرفة ذلك فائدة جليلة لمن يبغى دراسة تاريخ العلوم

٢ — أتالا

صنّف هـذه القصة الخيالية الكاتب الفرنسى الشهير شاتوبريان[2] Chateaubriand سنة ١٨٠١م باللغة الفرنسية[3] وهى رواية انتزعها المؤلف من كتابه (عبقرية النصرانية)[4] ، ولم يكن يومئذ قد أكمله . والحادث الذى تدور عليه الرواية ورد فى أميركا الشمالية ، وذلك أن (شكتاس) أسره جيل من الناس كان عدواً لرفاقه . فحكم عليه بالإحراق ، وكانت (أتالا)[5] ابنة الزعيم الأقوى للقبيلة المعادية ، فعشقت الأسير وخلصته فى الليل وفرت به إلى القفار . أما وصف المؤلف لما انتاب العشيقين من الخوف والأمل والحب ووخز الضمير الذى كان يعذب هذين الفارين الطاهرين ، فن القطع الأدبية الرائعة ! فى هذه القصة المؤثرة التى وصف فيها الغرام وصفاً بليغاً أوحى شاتوبريان إلى أوربة بعالم جديد . فقد ذكر البحيرات العظيمة والحراج الأبكار التى تغشى أميركا الشمالية ؛ ثم انتقل إلى وصف قبائل هنودها وعاداتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم ، وبيّن ما بين الحياة الهمجية والحياة المدنية من التضاد ؛ فزاد ذلك بما فى الرواية من الإفادة

وقد نقلها جميل نخلة المدور إلى العربية ، وطبعها فى بيروت سنة ١٨٨٢ م

والذى نعرفه أن لهذه الرواية ثلاث ترجمات عربية أقدمهن للخورى عيسى بترو الأورشليمى الرومى[1] ، ومن هذه الترجمة[2] نسخة خطية فى خزانة باريس الوطنية (Ms. 3680) ، والثانية لجميل نخلة المدور ؛ والثالثة[3] لفرح أنطون ، وقد طبعت هذه الأخيرة فى نيويورك سنة ١٩٠٨ فى ٨ + ٤٨ صفحة

٣ — التاريخ القديم

هـذا الكتاب مختصر فى التاريخ ، لم يعلم مؤلفه الذى جمع مواده من مراجع مختلفة ، مبتدئاً به بسنة ٤٩٦٣ قبل الميلاد ، ومنتهياً به بسنة ٣٩٥ للميلاد ، وقد رتبه على مقدمة وثلاثة كتب ينطوى كل منها على فصول ، وسار فيه بحسب السنين

نقله جميل نخلة المدور إلى العربية ، وطبعه فى بيروت سنة ١٨٩٥ فى ٣٥٦ صفحة[4]

٤ — حضارة الإسلام فى دار السلام

هذا هو أسمى مؤلفات جميل نخلة المدور ، وأعظمها شأناً ، والقطب الذى تدور عليه شهرته . فقد ألفه بطريقة ربما لم يسبقه إليها أحد فى اللغة العربية[5] اشتغل فى تصنيفه زهاء العشر سنوات . فقد نشر منه فصلاً فى المقتطف[6] سنة ١٨٨٠ بعنوان (البصرة فى خلافة المنصور) . فوطأ محرر المقتطف حينذاك لهذا الفصل بالكلمة التالية :

---

(١) المشرق (٥ [١٩٠٢] ص ٦٧٥ — ٦٧٦ بالحاشية)
(٢) ولد سنة ١٧٦٨ ومات فى باريس سنة ١٨٤٨ م .
(٣) عنوانها الفرنسى Atala
(٤) Le génie du christinisme
(٥) يقرب هـذا الاسم من اللفظة العربية « الأثلة » النبتة المرونة التى سمى بها بعض النساء العربيات

---

(١) نقل إلى العربية بضعة كتب وبعض متنولاته تاريخها سنة ١٨١٢م
(٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ١٢٠)
(٣) فهرس دار الكتب المصرية (٧ : ٢٤٩)
(٤) فى فهرس دار الكتب (٥ : ١٠١) تفصيلات أخر من هذا الكتاب .
(٥) هـذه تشبه الطريقة التى سلكها برتلمي أحد أدباء فرنسة (١٧١٦ — ١٧٩٥ م) الذى روى على هذه الصورة سفر أحد الأجانب الدهو أناكرسيس (Anacharsis) إلى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر واصفاً ما يستحسنه من عادات اليونان وأخلاقهم وعلومهم . ومثله سفر تلماك Télémaque الكاتب الفرنسى فنيلون (١٦٥١ — ١٧١٥ م) وهذا الكتاب الأخير نقل إلى العربية وطبع
(٦) المقتطف (٥ [١٨٨٠] ص ١٧٧ — ١٨٠)

« هذه النبذة من كتاب قد باشر تأليفه الشاب اللبيب جميل أفندي الدوّر ... [إلى أن قال] : فنطلب له تمام التوفيق إلى إنجاز هذا الكتاب الذي لا تحصى فوائده ولا تثمن فرائده »

ولم تظهر الطبعة الأولى لهذا الكتاب إلا في سنة ١٨٨٩ م

وهنا ندع القول للمؤلف يفصح لنا عن الطريقة المثلى التي سلكها في تصنيف هذا الكتاب الخالد ، قال في المقدمة :

« هذه رسائل ، وضعت فيها عصراً من عصور الإسلام قد أشرق به نور العلم ، وجرت فيه أعمال عظيمة قام بها رجال كبراء ملأوا العالم بآثار جالهم ، وجعلت الكلام فيها لرحالة « فارسي » طوّفته معظم البلدان الإسلامية في المائة الثانية للهجرة وطوقته مناصب الدولة برعاية البرامكة إلى أن نكبهم الرشيد ... »

فالكتاب رسائل تبلغ العشر عدًا ، كتبها الرحالة الفارسي الخيالي من سنة ١٥٦ إلى سنة ١٨٧ للهجرة ؛ وقد سطر الأولى وهو في النهروان سنة ١٥٦ ، والثامنة وهو في بحر تونس سنة ١٨٦ ، والتاسعة وهو في المشاهد المباركة سنة ١٨٦ أيضاً . أما الرسائل السبع الباقيات فقد كتبها وهو في بغداد

وقد لخصه من خمسة وثمانين تصنيفاً تعد بحق من أسمى المؤلفات العربية القديمة الباحثة في علوم الدين واللغة والبلدان والأخبار والأدب وغير ذلك . وما لا بد من ذكره هو أنه لم يدون حقيقة أو يسطر قضية إلا أسندها في الحاشية إلى المرجع الذي أخذها عنه ، وأشار إلى الصفحة في كل مرة ينقل من هاتيك المؤلفات الخمسة والثمانين التي ألمعنا إليها . وفي هذا من المشقة ما لا يدركه إلا الذين عانوا مثل هذا التلخيص في كتاباتهم

ومن يطالع هذا الكتاب ، يدرك أن الغرض من وضعه إظهار طرف من مآثر العرب ومفاخر الإسلام أيام هرون الرشيد والبرامكة . فهو يكشف للقارئ ما كان عليه القوم من علوم وآداب وعادات ومتاجر في بغداد وغيرها من البلدان . أضف إلى ذلك أنه موضوع على منوال رحلة لرحالة متفقه بالعلوم والآداب المعروفة في ذلك الزمن ، فهو يصف المدن والمعابد والمشاهد والمباني والسفن والموانئ وهيئات الملوك والوزراء والعلماء والشعراء والمغنين وغيرهم من الرجال ، ويبين ما كانت عليه طباعهم وميولهم وأفعالهم كما وصفهم الواصفون من أبناء زمانهم المعاصرين لهم

وفي الكتاب ، من الفكاهات والنوادر والأخبار المحققة والآراء الصائبة ، ما تقر به العين وترتاح إليه النفس ، لأنه جاء فيها بألفاظ مستعذبة وعبارات بليغة

فهذه المزايا أهابت - على ما نظن - بوزارة المعارف المصرية الجليلة إلى طبعه وجعله كتاباً للمطالعة ، ولنعم ما فعلت !

وقد أبدى أحد الكتاب ارتياباً في صحة نسبة هذا الكتاب إلى جميل الدوّر ، فقال[1] : « ... وكان الشيخ ابراهيم اليازجي يصحح له (أي يصحح لجميل) ما يكتبه ، وفي أصحابهما من يرى أن حضارة الإسلام لليازجي ، وأنه نحله جميلاً في أيام إدقاع الأول وإثراء الثاني ! »

غير أننا لا نميل إلى هذا الرأي ، ولا نرى فيه ما يحملنا على تصديقه ، لأن كتاباً ينفق من العمر في تأليفه نحو من عشر سنوات مما لا يجوز أن ينحل ، خاصة وأن الشيخ ابراهيم اليازجي لم يكن بتلك الدرجة من الفاقة التي تدفعه إلى مثل هذا البذل العظيم !

٥ — مآثره

هذه هي مؤلفاته المطبوعة التي يوسع القارئ أن يرجع إليها إن شاء . ولديه تآليف غيرها لم تطبع ، ولم نقف على شيء من أمرها سوى ما ذكره العلامة الأب شيخو[2] من أن لجميل « في بيت أهله مخطوطات متفرقة أدبية وتاريخية وروائية »

ومما ورد في نهاية مقدمة كتاب حضارة الإسلام في دار السلام قوله[3] :

« ... وقد عقدت النية ، إجابة لرغبة علماء المسلمين ، ممن تفضلوا باستحسان هذا الكتاب ، على متابعة سرد التاريخ الإسلامي في شكل هذه السلسلة من الروايات ، وتنسيقها في مثل هذا السمط من درر الآيات البينات ... »

والذي يؤسف له أن تلك النية الحسنة لم تتحقق . ولا نرى السبب في ذلك إلا اشتغاله بأمر الصحافة ، أو إلى أن يد المنون امتدت إليه فاخترمته ! ونحن واثقون من أن أمنيته لو كانت قد جرت مجرى التنفيذ لكنا نتمتع اليوم بذخائر كنز ثمين من الكتب وترفل في جنة من الأدب فيها من كل فاكهة زوجان .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي (١ : ١٩٣)
(٢) المخطوطات العربية (ص ٢٨٧)
(٣) حضارة الاسلام (مقدمة الطبعة الثانية)

شخصيات تاريخية

٥ ـ تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

قضى تيموستوكل البقية الباقية من حياته وهو يعمل على تنفيذ هذه السياسة ، ويكاد يكون هو الوحيد الذى سار فى هذا الطريق ، فهو لا يألو جهداً إلا بذله للنكاية بالعدو اللدود وهو إسبرطة ، ولكن الشعب الأثينى تخلى عنه ولم يسايره ، إذ داخلته الشكوك من ناحية ، فخشى خطره وأصبح يعتقد أن له مأرباً فى تنفيذ هذه السياسة ، لذلك كان وحده دون معين ولا نصير فى هذه الفترة الأخيرة من حياته وهى الواقعة بين معركة سلاميس وعمانه (من ٤٨٠ فى ٤٦٤/٤٦٣ تقريباً)

قضى تيموستوكل هذه الفترة شريداً طريداً حتى لم نعد نسمع عنه كثيراً ، بحيث تكاد تكون هذه الحقبة من تاريخ حياته غامضة ، هى غامضة لقلة الوثائق التى تتكلم عنه ، وبالرغم من هذه القلة نستطيع أن نتلمس الأخبار من بين السطور التى كتبت عنها والتى توجد لدينا ، فهذه الوثائق لا تتحدث عنه إلا فى فترات متقطعة ، ولكنها ، على ندرتها ، ثمينة جداً لأنها تخبرنا عن تيموستوكل وعن شىء من نشاطه ، فهى ترينا أن تيموستوكل الشيخ لا يختلف عن تيموستوكل الشاب . ألا يزال هو هو ، كله حركة ونشاط ، لا يعتريه اليأس ولا يفل من عزمه عظم المهمة التى ناط نفسه بالقيام بها ، فهو لا يحجم عن الانتقال من مكان إلى مكان للدس ضد إسبرطة والإيقاع بها أينما استطاع لذلك سبيلاً ، فنراه حيناً فى أرجوس يعمل على قلب نظام الحكم الأوليجاركى وإقامة النظام الديمقراطى مكانه ، وحيناً آخر فى دولتى إيليد وأركاديا . وهو فى كل هذه البلاد يقوض من أسس النظام الأوليجاركى الذى يؤيد الدولة الإسبرطية ويشجع قيام النظام الديمقراطى لكى تكون عوناً للدولة الأثينية ، وفى سبيل ذلك نراه لا يتردد عن أشق المهام ، كتأليف اتحاد من المدن الأركادية لمحاربة اسبرطة ، وينجح فى هذه المهمة ولكن اسبرطة له بالمرصاد إذ تتمكن من إلحاق الهزيمة بهذا الاتحاد الإركادى وتتغلب عليه فى موقعة ديبايا (عام ٤٧٢/٤٧١ ق . م) ، تتفتح عينا تيموستوكل ويرى بوضوح كامل أن اسبرطة ما زالت قوية على بأس عظيم بحيث تستطيع التغلب على أعدائها ، فيحاول أن يسلك سبيلاً آخر ، إذ يسعى ، بعد هذا الفشل الذريع ، إلى النيل منها داخل حدودها وذلك بتقويض دعائم نظام حكومتها وإثارة المستائين ضدها من سكانها مثل البريبيك والهيلوث . ولتنفيذ هذه السياسة نجده يتقرب من شخص آخر يشبهه فى المغامرة والجرأة وهو الملك الاسبرطى بوزانياس ؛ ونجح فى التفاهم معه على التآمر ضد الحكومة القائمة ، ويعمل الاثنان للاتفاق مع ملك الفرس ، ولكن المشرفين على الحكومة الاسبرطية وقفوا فى الكشف عن هذه المؤامرة والقبض على بوزانياس ، وقد ثبت لديهم أن تيموستوكل اشترك مع بوزانياس فى التآمر ضد دولتهم ، فطلبوا إلى أثينا معاقبته ، وتلبى أثينا هذا الرجاء وتستدعيه من حيث كان يقيم . ويدلنا هذا على مبلغ كراهيته من الشعب الأثينى حينذاك ، ولكنه لم يأبه لهذا الاستدعاء ولم يحفل به ، بل ظل فى الخارج ، ونحن لا نعرف فى أى مكان كان يقيم فى ذلك الحين ؛ ولكن كل ما نعرفه هو أنه كان يهرب من مكان إلى آخر خوفاً من أن يُقبَض عليه ويُحمَل إلى أثينا فتفتك به إجابة لرغبة اسبرطة ؛ أخذ ينتقل من بلد الى بلد حتى ألقى به عصا التسيار إلى بلد عدو من أعدائه هو أديمبتوس ملك « المولوس » فى شمال غرب اليونان ، وقد كان عداء هذا الملك لتيموستوكل شديداً جداً . ولكنه استقبله وأضافه بالرغم من هذه العداوة الشديدة وهذا البغضاء المستحكم ؛ لأن عادات الضيافة عند اليونان كانت قوية لا تبيح للشخص أن يطرد ضيفه ولو كان من ألد أعدائه ؛ بل ولم يقبل هذا الملك أن يسلمه إلى أعدائه ، وذهب إلى أبعد من هذا فشجعه على الهرب ونظم له الوسيلة وجهزه بكل ما يحتاج اليه من وسائل السفر ، فتمكن له الذهاب إلى « بيدنا » فى مقدونيا ، ومنها ركب السفينة قاصداً آسيا للقاء ملك الفرس ، ولكن زوبعة تهب على السفينة فتغيرها عن وجهتها حتى تصل إلى جزيرة ناكسوس فى بحر إيجه فيحاول قبطانها

الرجوع به إلى أثينا ، ولكنه مازال وراءه بالوعود الخلابة الجميلة حتى حمله على أن يتوجه به نحو مقصده ، ووصلت السفينة آمنة سالمة إلى شواطئ آسيا الصغرى . وهناك نزل منها فى هذه البلاد . وطئت أقدامه أرض « إيفيز » ، فهل تظن أنه أخلد إلى الهدوء بعد ذلك ؟ وكيف السبيل إلى هذا ولا وطن له الآن يتعلق به ، ولا أرض يدافع عنها ، بل هو شريد طريد ؟ من أجل هذا ضم على مقابلة ملك الفرس ليرى ماذا هو فاعل به — وهنا يختلف المؤرخون فى شخص الملك الذى قابله تيموستوكل ، فيقول المؤرخ توسيديد إنه وصل إلى عاصمة الفرس حينما اعتلى أرتاجزرسيس العرش ، ويقول المؤرخ فاينياس ويوافقه على هذا الرأى بلاتارخوس إنه قدم نفسه ليوجرزسيس الذى طالما حاربه لا لأرتاجرزسيس — وهذا الخلاف بسيط لا يمنع الحقيقة الواقعة وهى أنه ذهب إلى عاصمة الفرس وقابل عاهل الفرس أيا كانت شخصية هذا العاهل ؛ وأن هذا قد أغدق عليه النعم والعطايا وخلع عليه كثيراً من الهدايا وعينه والياً على بعض المدن التى أخذ يسومها حتى قضى نحبه وهو فى المنفى بعيداً عن وطنه وأرض آبائه وأجداده

هنا يختلف المؤرخون أيضاً فى الطريقة التى مات بها . فمنهم من يقول بأن ملك الفرس كلفه بقيادة حملة لمحاربة الأثينيين فى مصر ، ولكنه رفض أن يخون وطنه فانتحر لعدم استطاعته تلبية مولاه وسيده . ومنهم من يقول بأنه مات ميتة طبيعية فى عاصمة ولايته ببلدة « ماجنيزيا » فى شمال آسيا الصغرى بعد مرض لم يمهله كثيراً

* * *

ألا ترى إذن إلى خاتمة حياة هذا البطل العظيم ، كيف انتهت على هذا النحو من المذلة والعار بعد أن كان قد وصل إلى قمة المجد وذروة الرفعة والسلطان ؟ ألا ترى أن هذا من شأن العظماء ، لا تسير حياتهم على وتيرة واحدة وإنما يعتريها الرفعة والانحطاط ؟ فأنت لا يمكنك بعد ذلك أن تظن أن تيموستوكل قد خان وطنه ، إذ لم يصل إلينا شىء يثبت أنه قام بعمل ألحق الضرر ببلاده ، بل استمر مخلصاً لها وفياً أميناً ، حتى أنه يرفض الذهاب فى حملة إلى مصر لمحاربة أبناء وطنه ، كما ذهب بعض المؤرخين مثل سيزيمبروث Stésimbrote فهو وإن كان قد لجأ آخر الأمر إلى ملك الفرس فإنما كان ذلك اضطراراً منه ، لأنه رأى وطنه يطارده فى كل مكان راغباً الفتك به ، فتخلص من هذا وهرب حيث قابل ملك الفرس الذى أغدق عليه النعم والعطايا ، وشأنه فى هذا لا يختلف عن شأن غيره من كبار اليونان الذين كانوا يضطرون إلى خدمة ملك الفرس حينما يرون بلادهم تنصرف عنهم وتسحب ثقتها منهم ، ونحن بعد هذا لا نستطيع أن نعتبر إتجاهه إلى الفرس خيانة منه لبنى قومه ، وإنما كان ذلك لرغبته فى الحياة والإبقاء عليها . وكيف السبيل إلى كسب العيش ووطنه قد نفاه وشرده حتى أصبح لا يجد مكاناً يلتجىء إليه عند اليونان على سعة بلادهم وامتداد أطرافها . وقد يلومه بعض الناس على هذا الالتجاء إلى ملك الفرس ولا يبرئونه من تهمة خيانة وطنه ، إذ لو كان بريئاً حقاً من هذه التهمة لقدم نفسه إلى المحاكم وهى تفصل فى ذلك حتى ترجع الحق إلى نصابه ، ولكن غاب عن هذا الفريق أنه لم تكن توجد محاكم فى أثينا بالمعنى المعروف لدينا فى الوقت الحاضر ، وإنما كان الفصل فى قضايا الخيانة العظمى راجعاً إلى الشعب وحده ، ونحن نعلم ما كان عليه الشعب الأثينى من ثورة واندفاع حينما تعرض عليه القضايا السياسية التى تتطاحن فيها المصالح وتتنازع عليها الأحزاب ؛ كلا ! لم يكن ذلك فى استطاعة تيموستوكل ولم يكن هذا الالتجاء إلى ملك الفرس خيانة منه وغدراً بالمعنى الصحيح ، فهو يعتبر من غير شك خطأ ولكن لهذا الخطأ أسبابه ومبرراته التى تجعلنا لا نغلو فى الحكم عليه . وكيف نغلو فى الحكم على تيموستوكل وكانا إعجاب بما قام به من أعمال يعجز عن القيام بها كثير من أفراد البشر ؟ ألم يتعهد بلاده فى وقت الخطر ويعدها خير إعداد للمعركة الفاصلة ؟ ألم يحرز لها نصراً حاسماً أبعد عنها الخطر الفارسى إلى زمن طويل ؟ ألم يكن هو من الأشخاص الرئيسيين الذين شجعوا على تكوين حلف ديلوس ونحن نعرف أن هذا الحلف تطور فيما بعد حتى أصبح أمبراطورية تعرف فى التاريخ القديم بالأمبراطورية الأثينية البحرية ؟ ألم يعمل بعد ذلك على التأسيس والإصلاح وإزالة الخرائب والأنقاض ببناء الأسوار وإقامة التحصينات ، حتى أصبحت أثينا ومعها بيريه قلب بلاد اليونان بل ومركز الحضارة اليونانية حتى قال عنها بركليس « إنها أصبحت مدرسة اليونان

١٣ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الحكومة — تابع الفصل الرابع

سبقت الإشارة إلى عمل الضابط، وهو الآن رئيس الشرطة. أما مخبروه الذين لا تميزهم ميزة، فينتشرون في أحياء العاصمة ويختلطون بالناس في المقاهي وكلهم عيون وآذان — وأغلبهم لصوص عُفي عنهم — وهم يرافقون الحرس في دورته الليلية خلال شوارع القاهرة. ولا يسمح لأحد غير العمى بالتجول في الخارج بلا مصباح أو أي نور بعد غروب الشمس بحوالى ساعة ونصف. وقلما ترى سائراً بعد ساعتين أو ثلاث. ولا يكاد الليل ينتصف حتى تغرق العاصمة جميعها فلا تقابل أكثر من عشرة أشخاص أو عشرين خلا المراقبين والحراس وبوابي الحارات والدروب. وعند ما يمر عابر سبيل يناديه الحارس بالتركية: «من هذا؟ [1]» فيرد المار بالعربية: «ابن بلد! [2]» والحارس الخاص كذلك يصيح: «وحّد الله» أو «وحّد» فقط! فيجيبه السائر: «لا إله إلا الله». ولا يختلف النصارى عن المسلمين في هذا القول، فهم يفهمون التوحيد فهماً مختلفاً. والمفروض أن اللص أو من يشرع في مخالفة القانون لا يجرؤ على النطق بهذه الكلمات. وبعض الأشخاص يجيبون الحارس بصوت مرتفع: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ويستخدم الحارس الخاص لحراسة الأسواق والأحياء ليلاً، وهم يحملون (نبوتاً) ولا يحملون مصباحاً.

والعادة أن يتجول الضابط، أو أغا الشرطة، في شوارع القاهرة. ويرافقه غالباً السياف والشعلجي، أي حامل الشعلة المستعملة إلى الآن [3]. وهذه الشعلة تشتعل حال إضرامها فلا يصعد لهيبها إلا حين تحرك في الهواء، عند ما تضرم بجذاة في الخارج. وهكذا تؤدى عمل مصابيحنا المعتمة. وقد يوضع على الطرف المشتعل إناء صغير أو جرة أو يغطى بشيء آخر حين لا تلزم الإنارة. ويقال إن اللصوص كثيراً ما يشعرون بالشعلة في الوقت المناسب فيتفادون مقابلة حاملها. وعقوبة من يقابله الشرطي بلا نور هي الضرب. وقلما يحاول المقاومة أو الهرب. وكان لرئيس الشرطة سلطة مطلقة في ضرب عنق أي مجرم أو مذنب بلا محاكمة حتى ولو كان القانون لا يعاقبه بالإعدام. وكذلك كان له مرؤوسون كما سترى بعدُ. وقد ندر في السنوات الأخيرة مباشرة هذه السلطة. وأعتقد أنه لم يعد يسمح لهم بذلك الآن. ويقوم أعوان الضابط بدورتهم الليلية مع الجنود لأنهم أحسن معرفة منهم بمخابئ اللصوص والأشرار ومناهجهم. ويندر أن يباشر الضابط نفسه سلطة تخرج عن حد الفرع أو الجلد.

كثيراً ما يتخذ رؤساء الشرطة وسائل غريبة مثل التي نراها في بعض قصص ألف ليلة وليلة لاكتشاف الجرم. وأذكر هنا حادثاً لا يختلف في صحته أحد على سبيل المثال. وسأرويه بالطريقة

(١) «كيمن دور أ» عوضاً عن «كيم دور أ»

(٢) ويجيبه «أعمى» اذا كان لايرى

(٣) ويخطئ البارون هامر برجستال باستعمال «مشعلجي» بدلا من «شعلجي». فالعامل الأخير لا يحمل مشعلا ولكن شعلة عتوة، وقد وصفت للشعل ورسمته في الفصل السادس

جميعاً»؟ ألم يؤسس لأثينا هذا الأسطول البحري المعظم الذي جعلها دولة بحرية بعد أن كانت دولة برية والذي كان العماد الذي تعتمد عليه الإمبراطورية الأثينية؟ قام تيموستوكل بهذه الأعمال الجليلة لأنه كان يضع مصلحة قومه في المكان الأول من اعتباره فيتناسى شخصه ومطامعه ويتجاهل حتى تنكر له قومه وبنو وطنه.

كان إذن تيموستوكل من بناة مجد أثينا في القرن الخامس حتى يدعونا هذا إلى أن نضمه في صف كبار الآثينيين، فهو لا يكاد يقل شأناً وأهمية عن زعيم آخر من زعماء الديمقراطية، وهو بركليس، وإن كان الناس قد أطلقوا على القرن الخامس عصر بركليس وأفردوا بركليس بهذه التسمية، فإننا نرى أنه يحق لثيموستوكل أن يدعى لنفسه شيئاً من هذا الفخر والمجد فيطالب بأن يسمى هذا القرن عصر تيموستوكل وبركليس معاً.

محمد الشحات أيوب

التي سمعتها: قصد ذات يوم رجل مسكين أغا الشرطة وقال له: يا سيدي، أقبلت إليّ اليوم امرأة وقالت لي: خذ هذا القرص ودعه في حيازتك وقتاً وأقرضني خمسمائة قرش. فأخذته منها، يا سيدي، وأعطيتها الخمسمائة قرش وانصرفتْ. وبعد انصرافها قلت لنفسي: لأنظر إلى هذا القرص، وتأملته فإذا هو من النحاس الأصفر، فلطمت وجهي وقلت: سأذهب إلى الأغا وأقص عليه قصتي عسى أن يحقق هذه المسألة ويوضحها، فليس هناك غيرك من يستطيع مساعدتي في هذه القضية. فقال له الأغا: إصغ إلى ما أقوله لك يا رجل. أنقل ما في دكانك ولا تترك فيه شيئاً ثم أقفله، وبكر في الذهاب صباح اليوم التالي، وبعد أن تفتح دكانك صِح قائلاً: يا حسرتاه على أموالي! ثم خذ في يديك مدَرّكين واضرب نفسك بهما وصح: يا أسفاً على أموال الناس! فإذا سألك أحد: ما ذا حدث فقل له: ضاعت أموال الناس، فقدت رهناً كان عندي لامرأة، لو كان ملكي لما انتحبت هكذا. هذا كفيل بأن يكشف لنا الأمر. ووعد الرجل بتنفيذ ما طلب منه، فنقل كل ما في دكانه. وفي بكرة اليوم التالي ذهب إلى دكانه وفتحه وأخذ يصيح: يا ويلاه على أموال الناس، وأخذ مدَرّكين وضرب نفسه بهما وجعل يدور في أنحاء المدينة صارخاً: يا حسرتاه على أموال الناس! ضاع رهن لامرأة كان عندي، لو كان ملكي لما أهمني. فسمعتْ المرأة التي رهنت القرص صياحه وتبينت أنه الرجل الذي خدعته؛ فقالت لنفسها: اذهبي وارفعي دعوى عليه؛ وذهبت إلى دكانه راكبة حماراً لتكسب نفسها أهمية وقدراً؛ وقالت له: يا رجل، أعطني ما لي عندك؛ فأجابها: ضاع؛ فصاحت: قطع الله لسانك! هل أضعت ما لي؟ لأذهبن إلى الأغا ولأخبرنه بذلك؛ فقال لها: اذهبي! وذهبت إلى الأغا وسردت شكواها، فبعث الأغا في طلب الرجل. فلما جاء قال للمشتكية: ما لك عنده؟ فأجابته: قرص من الذهب البندقي الأحمر؛ فقال الأغا: يا امرأة، عندي هنا قرص ذهبي أود أن أريك إياه؛ فقالت: أرينيه، يا سيدي، فإنني أعرف قرصي. فحل منديلاً وأخذ منه القرص الذي رهنته، وقال: أنظري ... فنظرت إليه وعرفته ... فطأطأت رأسها. وقال الأغا: ارفعي رأسك وأخبريني أين نقود هذا الرجل؟ فأجابت: يا سيدي، إنها في بيتي. فأرسل معها إلى المنزل السياف مجرداً من سيفه، وعادت بكيس فيه النقود، وأعيدت الخمسمائة قرش إلى صاحبها. ثم أمر الأغا السياف بأخذ المرأة إلى الرُّميلة، وهي مكان فسيح مكشوف أسفل القلعة، ليقطع رأسها هناك ونفذ الأمر!

أما أسواق القاهرة والموازين والمكاييل، فتخضع لمراقبة المحتسب، وهو يجوس من حين لآخر خلال المدينة، يتقدمه عامل يحمل قسطاساً كبيراً، ويتبعه الجلادون والخدم. وهو يمر على الدكاكين والأسواق واحداً واحداً، وأحياناً يتفقد واحداً هنا وواحداً هناك، فيفحص الميزان والأوزان والأكيال، كما يستفهم عن أثمان المؤن من مأكولات وغيرها. وكثيراً ما يستوقف خادماً ما يقابله صدفة في الطريق حاملاً مأكولات قد اشتراها، فيسأله عن ثمنها ووزنها. فإذا تبين له أن البائع استعمل موازين أو مكاييل مغشوشة، أو طفف الميزان أو زاد على سعر السوق، أنزل به العقوبة في الحال. والعقوبة العامة: هي الضرب أو الجلد. ورأيت مرة رجلاً تنفذ عليه عقوبة مختلفة لبيعه خبزاً ناقص الوزن: خزم أنفه وعلقت فيه كعكة بطول الشبر وبسُمك عرض الأصبع، وجرد من ثيابه إلا قطعة من الكتان حول صلبه، وشُدّ، وذراعاه خلفه وقدماه فوق قاعدة صغيرة، إلى قضبان شباك من شبابيك جامع الأشرفية في أهم شوارع المدينة، وبقى كذلك حوالى ثلاث ساعات معرضاً لأنظار الجمهور المحتشد وأشعة الشمس المحرقة

وكان ممن عُيّن محتسباً - بعيد قدومي الأول إلى مصر - رجل كردي اسمه مصطفى كاشف، تولى سلطته بأقسى الطرق، فكان يقطع شحمة الأذن أو طرفها لجرم مهما صغر ولغير جرم. وفي مرة قابل رجلاً شيخاً يقود حميراً محملة بطيخاً فأشار المحتسب إلى واحدة من أكبرها حجماً وسأل عن ثمنها. فأمسك العجوز شحمة أذنه وقال: إقطعها يا سيدي! فأعاد عليه المحتسب السؤال مرة بعد مرة فكان الجواب واحداً. فاغتاظ المحتسب ولكنه لم يتمالك أن ضحك، وقال: «هل أنت مجنون أو أصم»؟! فأجاب العجوز: «لا، لست مجنوناً

ولا أسمع ، ولكنى أعرف أننى إذا قلت ثمن البطيخة عشرة فضة فستقول : « إقطع أذنه » . وإذا قلت خمسة فضة أو فضة واحدة فستقول : « إقطع أذنه » . لذلك اختصرت الأمر وقلت اقطعها ودعنى أتبع طريقى » . ولم ينجه إلا ما فى تهكمه اللاذع من فكاهة

كان قطع الأذن هو العقوبة العادية التى يوقعها هذا المحتسب ، ولكنه اتبع أحياناً طرقاً مختلفة ؛ فقد عاقب جزاراً باع لحماً ينقص عن الوزن الحقيقى أوقية ونصفاً بقطع هذا القدر من ظهره . وأمر بتجريد بائع كنافة حصل على زيادة فى الثمن تافهة من ثيابه ووضعه على الصينية النحاسية المستديرة حيث تسوى الكنافة وتركه كذلك حتى احترق احتراقاً رهيباً .

وكان يعاقب الجزارين بوضع كلابة فى أنوفهم يعلق بها قطعة من اللحم . وفى ذات يوم قابل هذا المحتسب رجلاً حاملاً صندوقاً كبيراً صفت فيه قلل فخارية من سنود وهو يبيعها بوصفها من قنا ؛ فأمر أتباعه أن يكسروا القلل على رأسه واحدة واحدة .

وكان يظهر طغيانه خارج ولايته ؛ ففى ذات مرة خطر له أن يرسل حصانه إلى الحمام ، وطلب من صاحب حمام بجواره أن يعد العدة لاستقباله والعناية بتحميته وتنعيم جلده . فثقل على صاحب الحمام هذا الأمر العجيب وخاطر بأن قال إن أرضية الحمام من الرخام ، وقد ينزلق الجواد فيقع ؛ وقد يصاب ببرد عند خروجه ، فيحسن لذلك نقل ماء الحمام إلى الإصطبل حيث تباشر عملية الحمام . فقال مصطفى كاشف : « إنى أرى السبب غير ذلك . أنت لا تريد أن يذهب جوادى إلى حمامك » . وأمر بعض خدمه أن يطرحوه أرضاً ويضربوه بالعصى حتى يأمرهم بالكف . ولم يأمرهم بالكف حتى مات المسكين

ولسنوات قليلة خلت كانت العادة أن يمشى بين يدى المحتسب عند طوافه بالمدينة لفحص الموازين والمكاييل ، رجل معه ميزان أكبر حجماً من الميزان المستعمل . ويقال إن قب هذا الميزان كان أنبوبة مجوفة بها زئبق ، فكان حامل الميزان يستطيع إذا عرف الذين رشوا سيده أن يرجح إحدى الكفتين بسهولة

ويشرف على الأسواق العامة المستخدمون المكلفون بمراقبة تجارة الباشا وصناعاته المختلفة . ووظيفتهم كوظيفة المحتسب سواء بسواء . وقد اشتهر بعضهم بارتكاب أرذل أنواع البغى والقسوة . وكان أحدهم ويسمى على بك (ناظر القماش) إذا وجد أحداً يملك نولاً خاصاً أو صادفه يبيع ما نسجه ، يشده فى قطعة من هذا النسيج يغمسها فى الزيت والقار ثم يعلقه هكذا على فرع شجرة ويوقد فيه النار ، فأباد الكثير بهذه الطريقة الوحشية . وقد مات هو نفسه حرقاً فى جم غفير أثناء انفجار مخزن بارود بمنحدر القلعة الشمالى سنة ١٨٢٤ . وقال صديقى الذى حدثنى عن فظائع هذا الوحش : « عند ما نقلت جثته لدفنها صلى عليها الشيخ العروسى شيخ الجامع الأزهر يومئذ فى مسجد الحسين ، وكنت أقوم بالتبليغ خلف الإمام ، فلما نطق الشيخ بالدعاء ساد السكوت بين الحاضرين الكثيرين ؛ ومضى الشيخ يقول : وكان من الصالحين ، فلم يسمع لأحد صوت ، فارتبك الشيخ وقال بصوت خافت : ليرحمه الله ! ثم قال صديقى مواصلاً حديثه : الآن نستطيع أن نؤكد أن مصير هذا الرجل الملعون إلى جهنم ، ومع ذلك لا تزال زوجته تقيم له ختمة فى منزلها ، وتوقد له كل ليلة شمعتين فى مسجد الحسين ! »

ولكل حى من أحياء العاصمة شيخ يسمى « شيخ الحارة » ، وهو يباشر سلطته للمحافظة على النظام ولفض صغير المشاكل بين السكان ولطرد من يعكر صفو الجيران . وتنقسم العاصمة إلى ثمانية أقسام يرأس كلا منها شيخ يسمى « شيخ الثمن »

وكذلك كان لكل طائفة من الطوائف التجارية والصناعية المختلفة فى العاصمة وفى غيرها من المدن الكبيرة شيخ يحكم فى المنازعات المتعلقة بهذه التجارة أو الحرفة ، ويصدق على قبول الأعضاء الجدد

كذلك يخضع خدم القاهرة لإمرة شيوخهم . ويستخدم الخدم بواسطة هؤلاء الشيوخ إذ يشهدون لهم بحسن السلوك مقابل قرشين أو ثلاثة . فإذا ارتكب الخادم سرقة يلزم الشيوخ بتعويض السيد ، ولو لم يحصل على المال المسروق

واللصوص أيضاً ، منذ سنوات قليلة اتخذوا كبيراً منهم شيخاً عليهم ، وكثيراً ما كان هذا الشيخ يطالب بالبحث عن المسروقات وتقديم المجرمين للمحاكمة ؛ وكان على العموم يقوم بذلك . ومما يستحق الذكر أن هذا النظام العجيب كان سائداً فى عهد المصريين القدماء(1)

« يتبع »

عدلى طاهر نور

(١) أنظر ديودور الصقلى

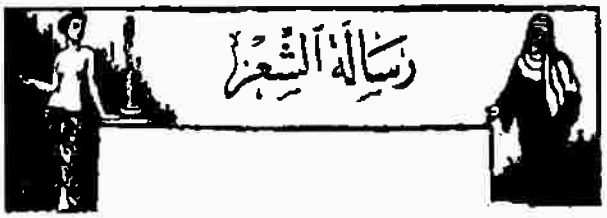

الطير المهاجر

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

علمتنى مواسمُ الروض أن الط
ير شتى : مهاجرٌ ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا
فى رياضى معششاً لا يريم ؟

رُبَّ شادٍ فى هجرة يتغنى
وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال ، وحيناً
من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقلُّ وداع
وله حين يُقبل التكريم

خذ من الطير كل يوم جديدا
فسواء جديده والقديم

كم مُوَلٍّ وصفوُه لا يولى
ومقيم وصَفْوُه لا يقيم

عباس محمود العقاد

أريـــد . . .

للأديب أحمد عبد المجيد الغزالى

جف الغدير ! فمن للظامىء الصادي ؟
وصوّح العود تحت الهاتف الشادي

ومات زهر الربى لا الطير تندبه ... ولا الشماع عليه رائح غاد
حتى الزهور يغول الدهر نضرتها ... لكل ناضرة من دهرها عاد
غاضت منابع شعرى وهى زاخرة ... وغام أفقى . أما من بارق هاد ؟
طال السرى وطريقى شائك حلك ... ولم يغن جديداً ذلك الحادي
أريد لى عالماً يختال (حاضره) ... على شوارد هذا العالم (البادي)
أريد دنيا جديد الوحى يغمرها ... فأستفيق على شدوى وإنشادى

أريدُ أن تسكبي الأنغام فى خلدى ... شيعتُ أمسى فهلاَّ تبعثين غدى ؟
مالى وقيثارة شُدَّت على خشب ... وأنت قيثارة شُدَّت على كبدى !
جفَّ النشيد على أوتارها فغدتْ ... بكاء لا تحتفى بالطائر الغَرِد !
طوقتها حانياً ، أبكى لياليها ... كما بكى والدٌ برٌّ على ولد
فهدْهِدى أنت أحلامي بأغنية
تنساب من نبعك الجارى من الأبد

وجدّدى عهدَها الماضى فإن عرضت
ذكرى أناشيدها فى الحب فانتدى

أنا الذى نهلتْ روحى أغانيها ... كما ستنهلُ فى أيامك الجُدُدِ

أريد ياجدولى السارى بأوهامى ... أن تستبد بآمالى وآلامى
بالأمس ياجدولى والروض يضحك لى
نديت من عذبك السلسال أحلامى

واخترت من ورق الأزهار لى صحفاً ... بيضاً ومن هذه الأغصان أقلامى
واليوم ياجدولى لا الروض يضحك لى
ولا مياهك تروى غلة الظامى

ظمئت ياجدولى والجرح فى كبدى ... فهل لمائك يأسو جرحها الدامي ؟

قد كان شطك لى أنساً وعافية ... فكنت أقوى على دهرى وأيامى
فما لأنسى به غاضت منابعه ... ولم تعد ثرة تجرى بألهامى

أريد يا كرم ، ماء غير رقراق
قد برمت بهمس الكأس والساقى
سقيت يا كرم كأسى وهى مترعة ... على شعاع سرى فى الكأس براق
ثملت يا كرم حتى عفت نشوتها ... وعفت صمتى على كأسى و إطراقى
مل الندامى خداع الكأس صائحة ... على صباح بنور الفجر دفاق
تميل أعناقهم والكأس دائرة ... حتى كأن الطلا تعويذة الراقى
ألفت يا كرم تلك الخمر صافية ... كما ألفت يراعاتى وأوراقى
يا كرم ، ماصار خير الخمر أقدمها ... إن كان ثم جديد فالهوى باق

أريد يا زهرات الروض أنفاساً ... غير التى عرّفتني الورد والآسا
ما عدت أستروح الأنسام عاطرة ... ريانة النفح تنسى القلب ما قاسا
نسيت بالروض أياماً لنا سلفت ... كان الندى خمرتى والوردة الكاسا
أشدو بشعرى مع الأطيار صادحة ... وقد أقمنا على الغدران أعراسا
فالزهر يبسم رفافاً لفرحتنا ... والغصن يختال تحت الزهر مياساً
رغبت يا زهرات الروض عن أرج ... قد كان يملؤنى وهماً ووسواسا
فضى جيوبك يا زهرات عن أرج ... مابات يشعل فى الوجدان إحساسا

أريد يا طير تغريداً كتغريدى ... وأن ترده فى الدوح ترديدى
ما للأغانى تغنيها فأسمعها ... فلا تطامن من همى وتسهيدى
سئمت يا طير ألحاناً شدوت بها ... بين الرياحين أو فوق العناقيد
إن كان عندك لحن غير ماصدحت ... به رباك ، نوقعه على عودى
لو كنت كالطير فى الأجواء منطلقاً ... لأنشد الطير فى الدنيا أناشيدى
وبات يتعمه فنى وجدّته ... فلن يكون له فنى وتجديدى
يا ويح الطير ، لا زالت هواتفه ... تردد اللحن من أيام داود

أريد يا ليل ، إن رتلت آياتى ... أن لا تخفف أشجانى وآهاتى
دعى ظلمتك الدكناء ألبسها ... نوراً يضىء حنايا دهرىَ الساتى
شقيت يا ليل بالأضواء تغمرنى ... فتوقظ الألم الغافى بأناتى
قد كنت يا ليل تسليني إذا عصفت ... بى الأمانى فى كيد وإعنات
أما سمعت بعادى الدهر فزعنى ... وفوق مسرحه غنى لمأسا
يا ليل أين السكون العبقرى مضى ... وخلف القلب مشبوب الصبابا
هذا السكون الذى استوحيته كلى ... ما باله لم يعد وحياً لأبياتى

أريد يا بدر نجوى غير نجوا كا ... قد كان يسعدنى فى الليل مسرا
أنداء نورك كانت بلسما عجبا ... للحب ماصنعت ـ يابدر ـ يمنا
دنياك دنيا الهوى والشعر عشت بها
أجنى بها الزهر ، حتى زهرها شا
وما سلمت بدنيا الناس من نكد ... قد ضقت ذرعاً بدنياهم ودنيا
تساقط النور أسلاكا كأن به ... سرا ، يساقطه يا بدر مثوا
أضأت للناس حتى أظلموا ومضوا ... يسخرونك أشرارا وفتا
ماذا عليك ، إذا أرسلتها حمما ... تنقض يا بدر أجراماً وأفلا

أريد يا فجر ألا يشرق النور ... وأن يلف شعاع الصبح ديجو
وأن نظل هجوعاً فى مراقدنا ... فلا يؤرقنا فى الروض عصفو
ولا تجاوبه فى الأفق ساجعة ... مسحورة إلفها بالأفق مسحو
لو كان طير الربى يدرى مهازلنا ... يا فجر ، ما شاقه شدو وتصف
هم روعوه بشر زاحموه به ... فى الجو ، فالطير فى دنياه مق
الطير ، سل عنه أذن الروض مرهفة
يجبك زهر على الخلجان منثو
والقوم سل عنهم الحرب التى وقدوا
يجبك أتونهـــا بالنار مسعو

أريد يا أيها الماشى على النار ... أن تستفيق على صيحات أشعار
تدب يا عالى فوق الغلى عجلاً ... غداً ستمضى برب الدار والد
للنيل فى عنقى حق سأبذله ... فى قذف قنبلة أو عزف قي
النيل إن رامه باغ به طمع ... رمى بجيش من الأشبال جر
النيل فى كنف الأشبال حوزته ... وهم على رصد للطامع الضار
جروا على مائه والفلك سامرهم
يداعبون خيال الكوكب السار
أنا المزار الذى غنى لسامرهم ... غداً أغنى وطير النيل سمار

أحمد عبد الحميد الغزالي

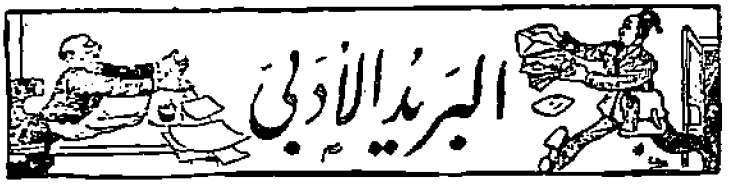

اقتراح مرفوع الى جماعة كبار العلماء

رفع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس جماعة كبار العلماء اقتراحاً جليل الفائدة ، مبارك الآثار ، يتصل بتنظيم جهود الجماعة وتوفير إنتاجها ؛ وقد نظرت الجماعة الموقرة في هذا الاقتراح بجلستها المنعقدة في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٣٦٠ ثم قررت تأليف لجنة من بعض أعضائها لبحثه وتدبير طريق تنفيذه برياسة حضرة صاحب الفضيلة المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

ويسرنا أن نسجل هذا الاقتراح الهام على صفحات الرسالة ، لأنه دليل على اتجاه حسن طالما رجوناه ودعونا إليه

وهذا نص الاقتراح :

« إن هيئة كبار العلماء ركن مهم من أركان الإصلاح في الأزهر ، بل الذروة التي يجب بلوغها متى ليعود إليه أولئك الفقهاء المحققون ، والمحدثون الثقاة ، والمفسرون المطلعون ، واللغويون البلغاء ، والمؤرخون الصادقون ، وأهل الصلاح والتقى

« إن هيئة كبار العلماء هي التي يرجى منها أن تكون تاج الجامعة الأزهرية ، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم وحفاظ الشريعة ، ومقوى لغة القرآن لتركن الضمائر الواجفة إلى علمهم ، وتهدأ النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم ، وتطمئن قلوب المؤمنين لقيامهم حفاظاً لليقين ، وحراساً على شريعة النبي الأمين »

بهذه العبارات الواضحة حددت لجنة إصلاح الأزهر المؤلفة في سنة ١٩١٠ من المغفور لهما عبد الخالق ثروت باشا وأحمد فتحي زغلول باشا ، وصاحب الدولة إسماعيل صدقي باشا أطال الله بقاءه ، الغرض من جماعة كبار العلماء ، وآمال الأمة الإسلامية فيها

ولم تزل الأمة الإسلامية ناظرة إلى هذه الجماعة الموقرة ، ترقب منها أن تكون مصدر خير لها في دينها ودنياها . ترقب منها أن تعمل على إعلاء كلمة الله ، ونشر ثقافة الإسلام وحياطتها بما يقويها ، ويدفع عنها غائلة المعتدين . ترقب منها أن ترشدها إلى أحكام الدين نقية مما خالطها من شوائب الابتداع في عقائدها وعباداتها ونظمها ومعاملاتها

وإني أقترح تحقيقاً لهذه الآمال الجسام أن يؤلف لجماعة كبار العلماء مكتب علمي دائم ، وأن يجعل لهذا المكتب مكان معين معروف شأن كل هيئة رسمية أو غير رسمية من الهيئات التي تعمل لأغراض خاصة

أما مهمة هذا المكتب بعد إنشائه فهي ما يأتي :

(ا) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة ، والدين الإسلامي خاصة في عصرنا الحاضر ، والرد عليه رداً كافياً مقنعاً بأسلوب ملائم لطريقة البحث الحديث

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك ، ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة ، والعمل على نشر كل ذلك ليرجع إليه الناس ، وتنقطع به أسباب الفتنة والنزاع بين المسلمين

وقد سبق للأزهر في عهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخه الحالي أن فكر في تأليف لجنة مشتركة من الأزهر ووزارة الأوقاف مهمتها القيام بهذه الناحية ، وألفت اللجنة فعلاً برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ إبراهيم حمروش عضو جماعة كبار العلماء ، وسارت اللجنة في عملها شوطاً بعيداً قاربت به النهاية

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوي على بيان ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التي دست على التفسير وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن ، والتي لا يدل على صحتها نقل ولا يؤيدها عقل ، وهذا يشبه ما قام به رجال الحديث من تجريد الأحاديث الموضوعة في كتب خاصة يرجع إليها الناس

(د) إصدار الفتاوى في الاستفتاءات التي ترد من المسلمين في جميع الأقطار إلى مشيخة الجامع الأزهر

وقد فكرت مشيخة الأزهر الجليلة الحالية في هذا الشأن منذ سنة ١٩٣٦ وألفت لجنة برياسة أحد أعضاء جماعة كبار العلماء هو المغفور له فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي — طيب الله ثراه — ثم أسندت رياستها من بعده إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء

(هـ) بحث المعاملات التي جدت وتجد في العصر الحاضر

من جهة حكم الشريعة فيها حتى يظهر الناس سمة سدر هذه الشريعة ، وقدرتها على تلبية حاجات الناس فى مختلف العصور

(و) : تنظيم طرق الوعظ والإرشاد والاتصال بالهيئات المعدة لذلك كوزارة الشئون الاجتماعية والجمعيات الإسلامية فى مختلف الأقطار

وقد نصت على هذه الناحية لجنة الإصلاح التى أشرنا إليها سابقاً بقولها :

« ومنها — تريد هيئة كبار العلماء — تتألف لجنة تنسيق الوعظ والإرشاد ووضع قواعده »

كما عنى بها قانون تنظيم الجامع الأزهر الذى وضع فى عهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخه الحالى إذ يقول فى المادة السادسة عشرة منه ما نصه :

« مادة ١٦ : تضع جماعة كبار العلماء نظام الدعوة والإرشاد وتصدره إلى الجهة المختصة لتنفيذه »[1]

(ز) : التنقيب عن الكتب المفيدة فى مختلف العلوم والعمل على إحيائها وإخراجها إخراجاً علمياً متقناً

والأزهر أجدر الهيئات وأقدرها على الاضطلاع بهذا العمل والوصول به إلى ما يرجى له من النجاح

(ح) : الإشراف على مجلة الأزهر والعمل على توجيهها فى طريق تخدم به الحركة الفكرية الإسلامية ، وتبرز به ثقافة الكليات الثلاث

* * *

هذا هو اقتراحى أضعه أمانة أمام جماعة كبار العلماء للنظر فيه بما أعتقد أنه جدير به من العناية والاهتمام ، حتى يتم إقراره وتنفيذه والله يتولانا جميعاً بهدايته وتوفيقه

محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء ووكيل كلية الشريعة

مؤتمر الأديان فى لندن

عقد فى لندن المؤتمر الدولى للعقائد ، والغرض من هذا المؤتمر الذى يرأسه السير فرنسيس يونجهزبند هو نشر روح الأخاء بين بنى البشر من طريق الأديان والتفاهم المتبادل بين مختلف العقائد

وقد أذيع أن فى النية إرسال كتب ورسالات إلى زعماء الأديان غير المسيحية يطلب إليهم فيها إبداء موافقتهم على المبدأ الذى حوته قواعد السلام الخمس التى وضعها البابا منذ سنتين

وقد أرسلت كتب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر فى القاهرة ، وإلى الزعماء الدينيين فى بلاد العرب وتركيا والشرق الأوسط عامة ، وإلى الزعماء المسلمين والهنود والبوذيين فى الهند وبورما والشرق الأقصى

وقد حضر الشيخ حافظ وهبه وزير المملكة السعودية المفوض فى لندن اجتماع المؤتمر فى الأسبوع الماضى ، وخطب فى نهاية الاجتماع الأستاذ يوسف على الذى كان فى وقت ما مندوباً عن الهند فى عصبة الأمم والعميد السابق للكلية الإسلامية فى لاهور ، فتحدث عن قواعد السلام التى يتوخاها مؤتمر الأديان المختلفة

وعقب ارفضاض الاجتماع أفضى السير فرنسيس يونجهزبند إلى مندوب وكالة الأنباء العربية بحديث قال فيه : « لقد تلقيت من فضيلة الشيخ المراغى مرتين ترحيباً صادقاً بفكرة المؤتمر وتحبيذاً طيباً لمقصده ، ونحن على يقين من تأييده التام لفكرة التفاهم بين مختلف العقائد وتآزرها للوقوف فى وجه العدوان القائم عليها جميعاً . ويقيني أن فضيلته هو أحد الذين يقدرون القيمة الروحية قبل أى شىء سواها »

وبهذه المناسبة نذكر أن قواعد السلام الخمس التى ألمت إليها تلك الرسائل هى : ١ — حق الأمم جميعاً فى أن تعيش معاً تحت ظل السلام ٢ — الاتفاق المتبادل على نزع السلاح ٣ — توافر الوسائل الكفيلة لمراجعة المعاهدات التى تحوى مساساً أو ظلماً فى حق أى شعب من الشعوب ٤ — الاعتراف بحقوق جميع الأقليات ٥ — ضرورة توفر حسن النية إذا أريد حقاً التراضى على سلام مقيم

وفاة موريس ليبلان

توفى الكاتب الفرنسى موريس ليبلان المشهور بقصصه عن أرسين لوبين فى مدينة بريتيان

وقد ولد هذا الكاتب فى سنة ١٨٦٤ فيكون قد توفى عن ٧٧ عاماً ؛ وهو أول الكتاب الفرنسيين الذين اختصوا بكتابة الروايات البوليسية . وقد اشتهر بابتداعه شخصية أرسين لوبين بطل رواياته . ومما يجدر ذكره أن الحكومة الفرنسية عينت موريس ليبلان فى اللجنة التى عهد إليها تحقيق قضية ستافيسكى المعروفة ، وحادث مقتل المستشار برنس . ومن مؤلفاته : أرسين لوبين الأنيس الظريف ، أرسين لوبين ضد شرلوك هولمز ، المثلث الذهبى ، جرائم أرسين لوبين الثلاث ، أنياب النمر ... الخ

(١) القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ إعادة تنظيم الجامع الأزهر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)